

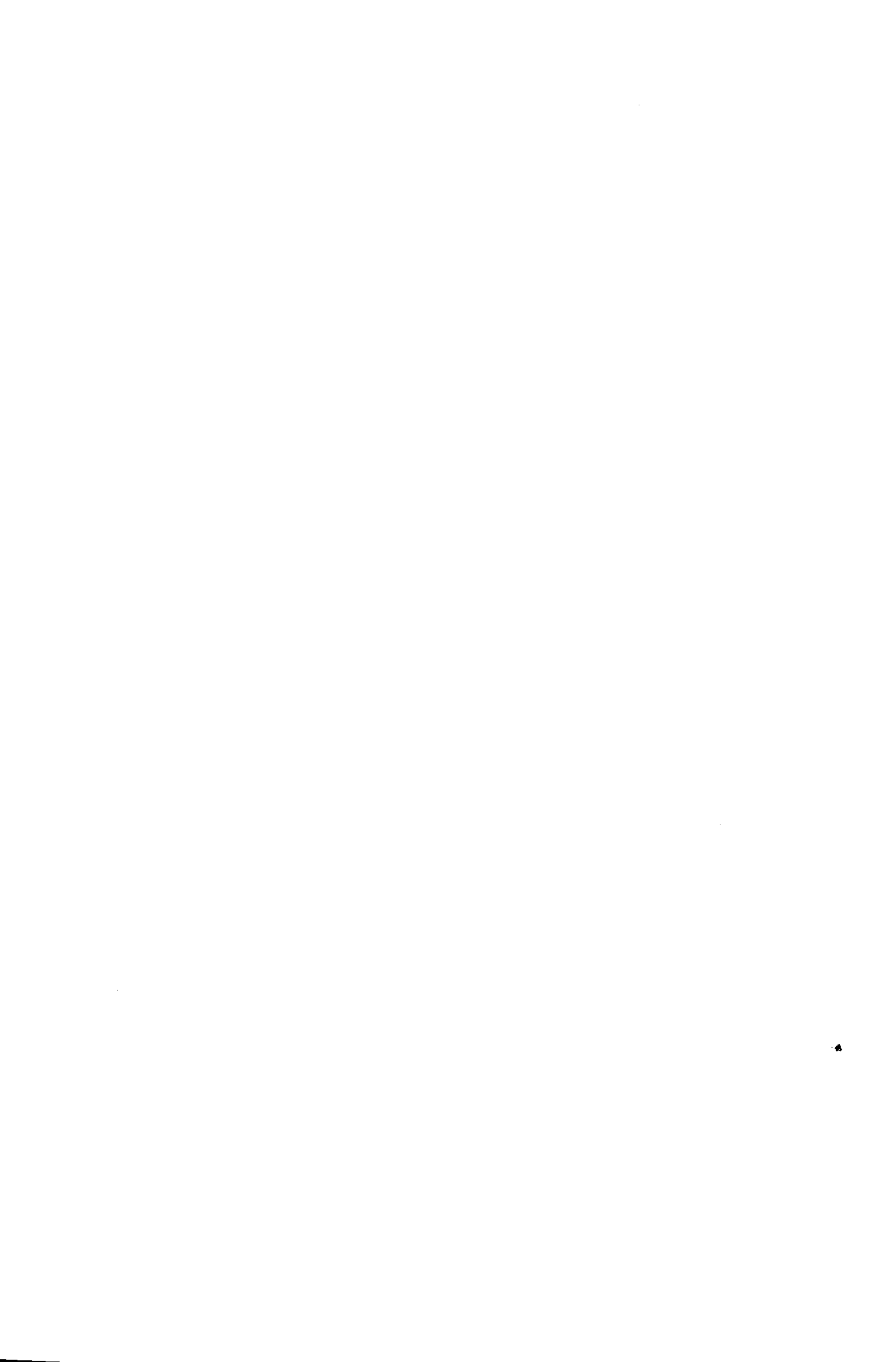
كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

في غرب الهند

مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين

محمد بن ناصر العبودي

ذو الحجة ١٤١٧هـ - العدد ١٨٠ السنة الخامسة عشرة




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وأفضل خلق الله أجمعين؛ محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن هذا كتاب من كتب عديدة قيدت فيه مارأيته أوسمعته ممايتعلق بأهم ما رأيته في بلاد الهند، وهي الكتب التي اسميتها (الرحلات الهندية) إذ خصصت لكل جهة من جهات الهند كتاباً منها، لكون ذلك لايحتمله كتاب واحد.

وهذا الكتاب هو (**في غرب الهند**) ويتضمن الحديث عن ولايتين من الولايات ذات الأهمية.

إحداهما : مهارسترا التي عاصمتها مدينة (بومبي) بوابة الهند.

والثانيــة : كجرات التي حكمها المسلمون لسنين طويلة، وقد عولت في هذا الكتاب - مثل كتبي الأخرى في الرحلات - على المشاهدات والمعلومات الحية، والاستنتاج من ذلك، دون الاعتماد على النقل من الكتب أو ترديد ماجاء فيها، جرياً على عادة أخذت بها نفسي في هذه الكتب في الرحلات التي كثرت، وكَثُرَ ماطبعته منها، بسبب الإقبال الكبير - بفضل الله تعالى - الذي حظيت به من قراء العربية الكرام.

إلاَّ أَنني كنت انقل نص مايتعلق بذكر كل ولاية من الولايتين مما يوضح حال الولاية بالنسبة إلى مهارسترا ويذكر شيئاً من حال الحكام

المسلمين بالنسبة لولاية كجرات، كما أكثرت - نسبياً - من الحديث عما يتعلق بالمسلمين، لأن ذلك هو الغرض والأساس في هذه الرحلات.

لقد كانت الهند معتبرة عندنا من البلدان البعيدة وذلك قبل تسيير السيارات وتطيير الطيارات في بلادنا وكان قومنا الذين يعرفون بلاد الهند يحدثوننا عن غرائبها وعجائبها بما يستثير الخيال ولايفارق البال، وبخاصة القول الذي يكررونه عندما يذكرونه وهو أن غني الهند غني جداً وفقيرها فقير جداً، حتى إنهم لايعرفون في العالم من هم أشد فقراً من فقراء الهنود. وقدر لي أن أزور الهند للمرة الأولى قبل خمسة عشر عاماً وكانت أول مدينة وصلت إليها هي مدينة بومبي التي هي (**بوابة الهند**) وفيها البوابة التي كتبوا عليها هذه العبارة.

وكان ذلك عندما دعتني حكومة ماليزيا لحضور الاحتفال بافتتاح الجامعة الوطنية هناك وكان طريق الرحلة عبر بومبي وكنت وقتها أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

فمررت بمدينة بومبي لأنه لم يكن يوجد طيران متصل مباشر من بلادنا إلى ماليزيا آنذاك لذلك سافرت من جدة إلى بومبي وكان يصحبني الشيخ عبدالعزيز بن محمد القويفلي عميد كلية الدعوة وأصول الدين حينذاك في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وانتهزت هذه الفرصة فزرت معالم (بومبي) وتجولت فيها بصحبة الأخ الكريم الشيخ مختار أحمد الندوي الذي كان قد استقبلنا مع الشيخ عبدالصمد شرف الدين الكتبي صاحب الدار القيمة للطبع والنشر في بومبي.

وخيل إليَّ عندما رأيت بومبي أنني قد رأيت الهند غير أن

زيارات الهند تكررت بعد ذلك فرأيت من أنحاء هذه البلاد الهندية من أقصى ولاية في الجنوب وهي (كيرلا) التي هي بلاد المليبار إلى الولاية القصوى المسلمة التي استولى عليها الهنادكة بعد الاستقلال وهي ولاية جامو وكشمير في نهاية القارة الهندية من جهة الشمال على جبال الهملايا وشعابها.

كما زرت مدينة كلكتا في أقصى الشرق وكتبت في بعض هذه الزيارات مذكرات ألف بعضها كتباً منفردة مثل (سياحة في كشمير)، و(مقال عن بلاد البنغال)، وهما مطبوعان.

ثم كثرت رحلاتي إلى بلدان العالم القصية مثل استراليا وأمريكا الجنوبية وجزر المحيط الهادىء، مما جعل الهند تبدو في عيني كأنما هي جار قريب لايستحق أن يزار لأنه ليس فيه جديد أو غريب.

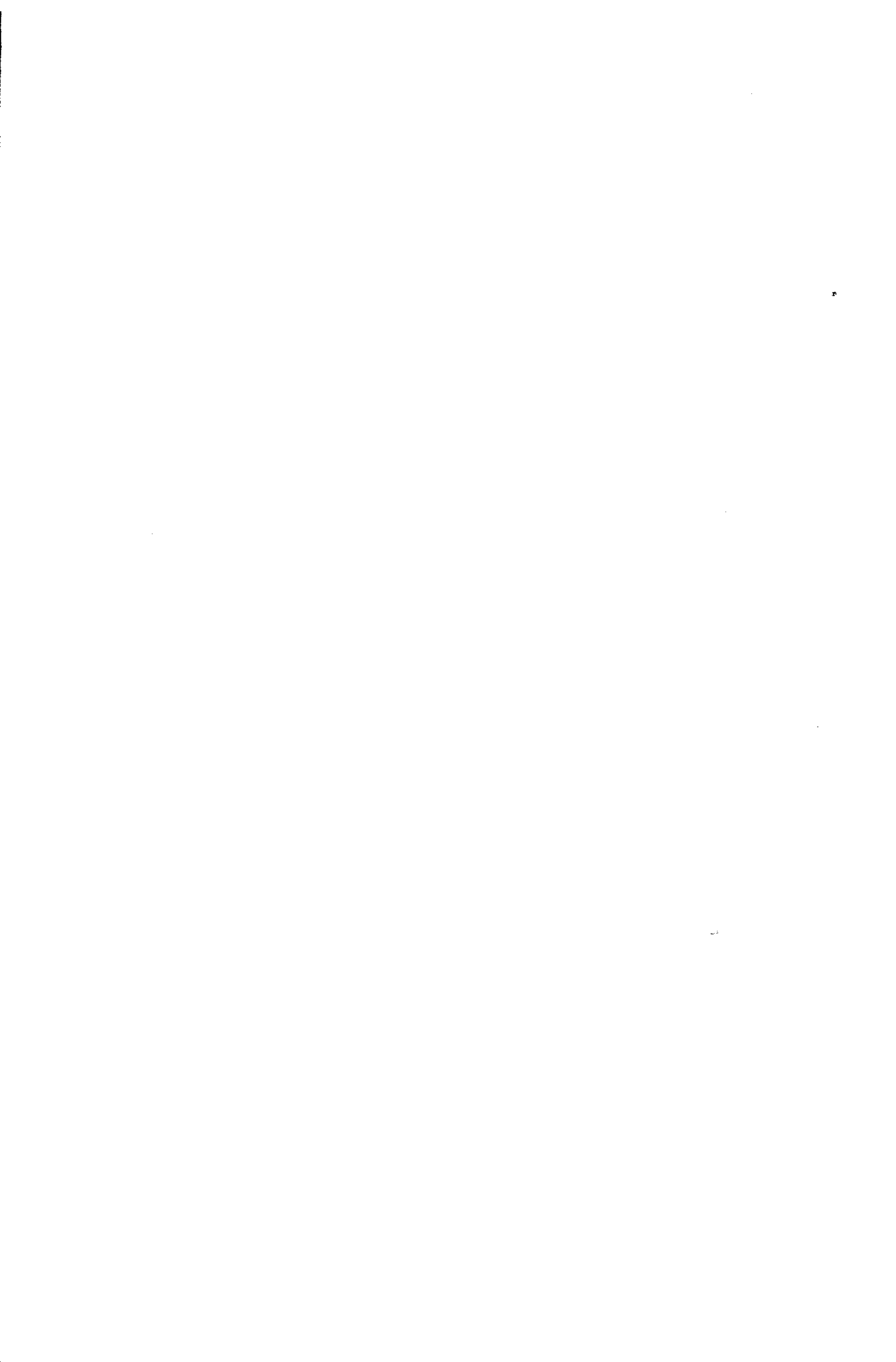
أو هكذا كان، لأن من يكون في مثل حالتي هذه يفضل أن يزور المناطق البعيدة التي لايثق بأنه ستتاح له فرصة زيارتها مرة أخرى إلا أن مقتضيات العمل الإسلامي وطبيعة وظيفتي جعلتني أسافر إلى الهند بعد ذلك وكانت زياراتي للهند مثل رحلاتي في بقية أنحاء العالم هي زيارات عمل اغتنمها فرصة للسياحة ولم أكن حتى كتابة هذه السطور بعد أن ألفت ثمانية وخمسين كتاباً في الرحلات إلى كافة أنحاء الأرض قد سافرت سفرة واحدة من أجل السياحة أو طلب المتعة، أو قضاء للوقت.

وهذه قصة رحلتين إلى الهند شملت الأولى زيارة مدينة بومبي وجزءاً من ولاية مهارسترا التي عاصمتها بومبي. والثانية شملت ولاية كجرات وكان الغرض الرسمي من رحلتنا الأولى هذه إلى الهند هو الاشتراك في المؤتمر الثالث للمنظمات السلفية الذي عقد في بلدة كتي

بروم في ولاية كيرالا يوم الخميس ١ / ١ / ١٩٨٧م ولمدة أربعة أيام واغتنمتها فرصة لزيارة بعض الأماكن التي كرر علي أهلها الدعوة لزيارتها كالجامعة السلفية في (مالي قاون) والله ولي التوفيق وهو المستعان.

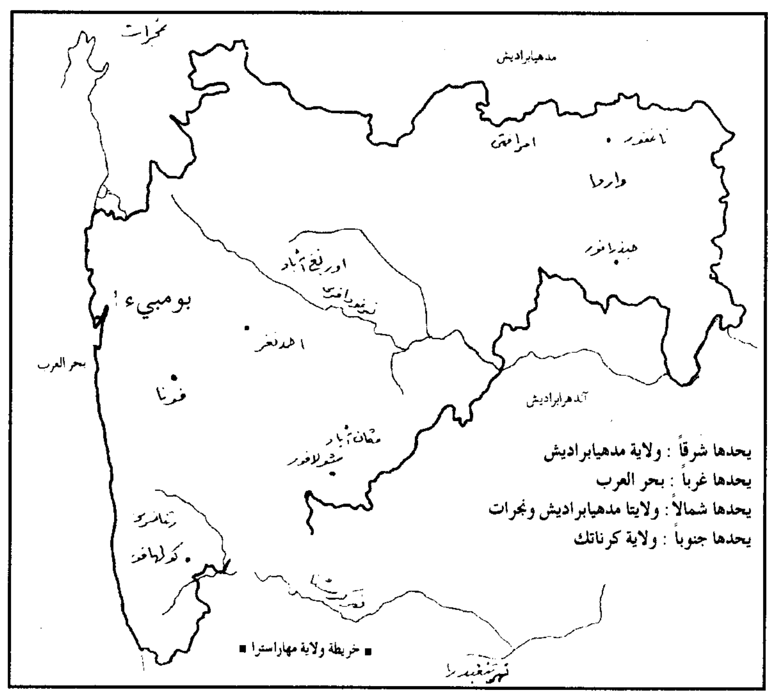
محمد بن ناصر العبودي

ولاية مهاراستـرا



تحتل ولاية مهاراسترا الدرجة الرابعة في الهند من ناحية نسبة السكان المسلمين فيها، فيبلغ عددهم فيها خمسة ملايين وثمانمائة ألف وخمسة آلاف وسبعمائة وخمسة وثمانين مسلماً. ونسبتهم ٩,٢٥٪ من سائر عدد مَنْ في هذه الولاية من السكان.

ويقطن (٨) أشخاص في ولاية مهاراسترا من كل مائة ساكن من سكان الهند، ويعيش في كل كيلوميتر مربع منها ٣٥٦ نسمة.



● خريطة ولاية مهاراسترا ●

وكانت نسبة السكان المسلمين في مهاراسترا من ١٩٥١م إلى ١٩٩١م كما يلي:

العـــام	عـدد المسـلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	٣,٤٣٦,٤٦٤	٧,٦١
١٩٦١م	٣,٠٣٤,٣٣٢	٧,٦٧
١٩٧١م	٤,٢٣٣,٠٢٣	٨,٤٠
١٩٨١م	٥,٨٠٥,٧٨٥	٩,٢٥

ويعيش المسلمون في تسع مديريات من ولاية مهاراسترا بومبىء، وجل كاؤن وبربهني وأورنك آباد وناندير وعثمان آباد، وبلداناً واكولا، وامراؤتي، أكثر من ١٠٪ من السكان، وعددهم أقل من ٤٪ في مديريتي ستارا ووردها، وفي جندرافور أقل من ٣٪، وفي بهندرا أقل من ٢٪.

وأكبر عدد من المسلمين في ولاية مهاراسترا في مديرية أورنغ آباد، إذ يمثلون فيها نسبة ١٥,٩٧٪ من سكانها وهم ١٤,٨٠ في بومبيء، وفي اكولا ١٣,١٢٪، وهذه النسبة كبيرة بالنظر إلى مجموع نسبتهم في الولاية كلها.

وكانت مديرية جل كاؤن تسمى بـ «مشرقي خانديش» من قبل، وكانت داخلة في حكومة السلاطين الفاروقيين لبرهان فور، وتقع أورنغ آباد وبربهني وناندير، وعثمان آباد في منطقة مراتهوار.

وكانت هذه المديرية قبل ذلك داخلة في ولاية حيدر آباد التي كان يحكمها السلطان نظام الدين واطلق على مديرية أورنغ آباد هذا الاسم على اسم أورنغ زيب الفاتح الغازي - رحمه الله - وكانت تحتل مكانة المركز الحضاري والثقافي الثاني في ولاية حيدر آباد،

وتقع مناطق بلدانا واكولا وامراؤتي، في (برار) وكانت منطقة برار لاتزال جزءاً من ولاية حيدر آباد إلى ماقبل وقت قصير، وتلى

مديريتا جندرفور وبهندارا منطقة دندكارينا التي تقع في حدود مهاراسترا الشرقية.

قال الدكتور الشيخ عبدالمنعم النمر في كتابه : «تاريخ الإسلام في الهند» وهو يتكلم على سلطان الهند العظيم (اورنغ زيب – عالمكير) وماقام به من أعمال – (ص ٢٧٣ – ٢٧٧).

حروب المراهتا :

ويقصد بذلك سكان مهاراسترا. فاسم الولاية (مهاراسترا) مأخوذ من اسمهم.

المراهتا : قوم يمتازون في الهند من قديم بلغتهم وحضارتهم الخاصة ويسكنون في شمال بومباي وجنوبها ويشتهرون بشدة بأسهم مثل الراجبوت وهم جنس من الأجناس المتعددة التي تسكن الهند، يبدأ حديثنا عنهم هنا من عهد سيواجي أو سهواجي كما ينطق أحياناً وهو والد سنبهاجي.

بدأ سيفاجي حياته في قرية صغيرة، ثم التحق بجنود عنبر الحبشي الذي سبق الحديث عنه حينما تحدثنا عن أحمد نكَر والمغول، وامتاز بشجاعته، فأخذ يتدرج في مناصب الجيش حتى احتل مكاناً رفيعاً ولقي إعزازاً وتكريماً، وكان المراهتا بحكم وجودهم في مملكتي أحمد نكَر وبيجابور يقاتلون المغول في صف هاتين الدولتين، وأخذ سيفاجي يقوم بحملاته لحسابه هو لا لحساب هاتين الدولتين؛ وحينما رحل أورنغ زيب من الدكن تاركاً حصار بيجابور سنة ١٠٦٦هـ – ١٦٥٦م، وأسرع إلى أكرا، ودارت الحرب بينه وبين إخوته من أجل الملك انتهز سيفاجي الفرصة، وأخذ يستعد ويهجم على أماكن

متعددة، ويوسع ولايته على حساب المسلمين، سواء في ذلك المغول أم بيجابور فأرسل اسكندر شاه ملك بيجابور جيشاً بقيادة أفضل خان لتأديبه سنة ١٠٦٧هـ ١٦٥٧م، ولم يكن من القوة بحيث يستطيع مجابهة جيش بيجابور، فاعتمد على الحيلة والغدر، وظلت الدولة مشغولة به عدة سنين حتى تم الصلح بينه وبينها.

وحينئذ اتجه للإغارة على أملاك المغول، فهجم على «أورنك أباد» سنة ١٠٧٢هـ - ١٦٦٢م، ونهب عدة أمكنة، فأرسل له أورنكزيب أحد قواده على رأس جيش استطاع أن يأخذ «بونا» عاصمة سيفاجي الذي لاذ بالجبال، ولم يستطع مجابهة المغول، ولكن ساعده الحظ حين نقل الملك قائده إلى بنكال، وعين مكانه ابنه «محمد معظم» فاستطاع أن يعود ويقوي نفسه حتى ضرب النقود باسمه، وكانت هذه من سمات الاستقلال - وزاد على ذلك فأخذ يهاجم قوافل الحجاج في «سورت» حيث كانوا يبحرون منها للحجاز قبل أن تنشأ ميناء بومباي، واستفحل شره، وأخذ يهدد حركة الملاحة على الشواطئ، فأرسل له الملك جيشاً كبيراً استولى على «بونا» مرة ثانية سنة ١٠٧٥هـ - ١٦٦٥م، وأخذ يتعقبه حتى حاصره، واضطره للتسليم، وشتت المراهتا وأذلهم، وتقدم «سيفاجي» خاضعاً للقائد «جي سنك» ثم عفا عنه الملك وأحسن إليه، وعين إبنه «سنيهاجي» في إحدى الوظائف الكبيرة تكريماً له، ولما توجه الملك إلى «بيجابور» سار سيفاجي في ركابه وعاونه، فازداد الملك رضا عنه، وسلمه وثيقة يسجل فيها هذا الرضا.

وفي سنة ١٠٧٦هـ - ١٦٦٦م توجه إلى أكرا للاشتراك في إحدى الحفلات الملكية حاملاً معه الهدايا للملك فقوبل مقابلة كريمة، وأعطاه الملك منصباً كبيراً، لكنه استصغره وفر راجعاً إلى الدكن،

وهناك استعان بملك كولكنده « أبي الحسن تانا شاه »، فأمده بالسلاح الذي استعمله في الهجوم على بيجابور وأملاك المغول معاً، وكان جيش المغول في ذلك الوقت مشغولاً بحصار بيجابور، فأتيحت له الفرصة كي يستعيد أملاكه التي اضطر من قبل للتنازل عنها للمغول، ولكنه لم يلبث أن اضطر إلى الصلح وطلب العفو من « محمد معظم » فعفا عنه، وأقطعه بعض الأراضي في « برار » فاستقر بها، وأخذ ينظم إقطاعيته الصغيرة بما استفاده من أنظمة المغول، فقوي جيشه وأخذ يعتدي على كولكنده، كما أعد اسطولاً نازل به الغربيين الذين جاءوا للهند ينازعون أبناءها السيطرة عليها، واستمر كذلك حتى توفي سنة ١٠٩٠هـ – ١٦٧٩م وترك رياسة قوية للمراهتا في الجنوب خلفه عليها ابنه سنبهاجي.

ويذكر المؤرخون أن سهواجي لم يكن في حروبه مدفوعاً بعامل التعصب الديني، بل بالعوامل السياسية، ولذا كنا نراه يتفق مع المسلمين أحياناً، ويحارب في صفوفهم، وكان يحترم المصحف ويعظم المساجد – هكذا يذكر المؤرخ الهندي سيد هاشمي – وقد قيل لي: إن الهندوس يعتبرون سهواجي من كبار المجاهدين ويحتفظون بصوره في بيوتهم تكريماً لذكراه وقد أقامت له الحكومة الهندية أخيراً تمثالاً باعتباره من الأبطال الوطنيين.

سنبهاجي

لم يكن سنبهاجي منذ صغره مثل أبيه، بل كان نزاعاً للشر والظلم للمسلمين والهندوس على السواء، حتى عزره أبوه كثيراً لسوء سلوكه، وكان أبوه يتحفظ من الهجوم على المدن الهامة للمسلمين، لكن هذا بدأ فأغار على « برهانبور » وسلب ونهب، فاستغاث الأشراف وغيرهم بالملك، وكان في ذلك الوقت قد فرغ من حربه مع

الراجبوت واستقر له الأمر كما قدمنا، فتوجه بنفسه على رأس جيش عظيم إلى الدكن، ليقضي على هذا المشاغب، ويصفي حسابه معه ومع الدولتين الإسلاميتين بيجابور وكولكنده.

أما سنبهاجي فلم يقو على مواجهة جيش الملك، وداخله الرعب حين توجه الملك بنفسه للجنوب، فانكمش وانصرف إلى لهوه وترفه، وتقدم المغول فأخذوا بعض مقاطعاته التي ورثها من أبيه، ثم زحف جيش مغولي آخر بقيادة «مقرب خان» واستطاع القبض عليه، وسيق مقيداً على فيل يشاهده الناس ويشمتون فيه؛ لما أصابهم منه من ظلم وعدوان، وفي مجلس الملك أساء وزيره الذي كان معه إلى المسلمين، وأخذ يهاجمهم مما جعل الملك يغضب ويعاجلهما بالقتل، لكنه في نفس الوقت احتضن ابنه «ساغو»، ورباه وقربه إليه؛ مما جعله دائماً يذكر هذا العطف بكل إخلاص ووفاء حتى مات.

ولكن الأمر مع ذلك لم ينته؛ فقد قام «رام راجا» أخو سنبهاجي خلفاً له، واعتمد على الإغارات والسلب والنهب هنا وهناك، فتعقبته جيوش الملك بقيادة «سردار ذي الفقار خان» حتى اضطرته للفرار إلى «برار» سنة ١١٠٩هـ - ١٦٩٨م، وانتهى أمره، وتفرق أمر المراهتة، لكنهم كانوا لايزالون يغيرون ويلجئون للجبال في كوكن وغيرها، وكان الملك قد تجاوز سنه الثمانين، ومع ذلك صمم على قطع دابر هؤلاء وإخمادهم، فظل في الدكن عدة سنوات حتى قضى على كل حصن لهم، وخضد شوكتهم تماماً وأقر الأمر في الجنوب كله، وكان ذلك سنة ١١١٦هـ - ١٧٠٥م، لكن ممالاشك فيه أن القوة الغلابة هي التي أسكتتهم، ومثل هؤلاء ينتهزون أول فرصة لضعف المملكة، ويهبون للهجوم عليها والاستقلال عنها.

يوم الثلاثاء ١٤٠٧/٤/٢٩هـ ١٩٨٦/١٢/٣٠م

من الرياض إلى بومبيء

قمنا مع طائرة الخطوط السعودية من طراز ٧٤٧ الفخمة المسمى (بجامبوجيت) ويقودها طيار سعودي.

وذلك في الثانية والربع ظهراً؛ وكانت قد مضت عليَّ سنون لم أسلك فيها هذا الطريق فقد كانت آخر مرة سافرت فيها إلى الهند القصد منها السفر إلى كشمير لذلك سافرت إلى دلهي ومنها إلى (سرنقر) عاصمة كشمير التي تحتلها الهند.

وكشمير رغم كونها تعتبر الآن جزءاً من الهند فإن أهلها ليسوا كأهل الهند في كل الأمور الأساسية وقد فصلت ذلك في كتاب: «سياحة في كشمير»..

وقد ساءت سمعة بومبيء في السنوات الأخيرة وبخاصة من جهة الأمن للعربي الثري أو الذي يرونه في بومبيء أو يظنونه كذلك.

فصارت هناك عصابات تسرق أو تخدع العربي والخديعة أهون من السرقة، لأن القانون لايحمي المغفلين كما يقال.

إضافة إلى ما اشتهرت به بومبي في القديم والحديث من كثرة السائلين المستجدين الملحفين الذين يكون بعضهم من الزمنى أو حتى من المجذومين فيمد يديه يستجدي بهما وقد أكل الجذام أصابعه أو بعض كفه ولايقتصر على ذلك، بل إنه يحك جسده بك إذا سألك يزعم انه بذلك يحملك على سرعة التخلص منه بإعطائه مايريد إذا لم يكن بإمكانك أن تتخلص منه بالابتعاد عنه.

وبعضهم يمسح ثيابك، ويقبلها بما فيه من مرض أو حتى لو لم يكن فيه مرض معد فإن فيه وسخاً مقرفاً.

أما الآخرون الذين ليسوا من هؤلاء فإنهم إذا عرفوا انك عربي يحاولون أن يزيدوا عليك في الأسعار، وأن يوقعوك في أخطار.

وكل هذه الأمور بلا مقابل جو معتدل منعش في بومبيء، أو بضائع رخيصة طريفة تأخذها معك إلى بلادك، أو عناية صحية بالمدينة تكون فيها مرتاحاً إذا سرت على قدميك أو حتى إذا كنت في سيارتك فلا يلوث الهواء غير النقي فيها رئتيك، ولا يؤذي عينيك.

أعلن مكبر الصوت في الطائرة بلسان عربي مبين من مضيف عربي جهير الصوت بأن الرحلة تستغرق من الرياض إلى بومبيء ثلاث ساعات.

وبدأت المضيفات بإعداد الموائد للغداء بعد أن قدمن مع المضيف العربي القهوة والتمر رمز الضيافة العربية، فكان الغداء سخياً ولم يكن فيه مايشعرك بأنك ذاهب إلى بلاد الهند.

وقد حلقت الطائرة فوق الدهنا ومرت من فوقها بل مرقت منها مروق السهم من الرمية.

وتذكرت قول الشاعر: في إبل نجائب فوقهن رجال صُبُرْ
يمرُّون بالدَّهْنَا خِفَافاً عِيابُهم ويَرْجِعْن من دارين بُجْرَ الحقائب

وقلت في نفسي : ماذا لو رآنا هذا الشاعر العربي وطائرتنا أو لنقل قصرنا الطائر الفخم الذي يمر فوق الدهنا كما تمر السحابة المزمجرة وهو ثقيل بالحقائب؛ بل لو وضعت الحِقائب التي فيه الواحدة بعد الأخرى لكانت أطول من قطار الإبل المتقاودة في دروب

الدهنا في ذلك الحين.

واقتحمت الطائرة بعد ذلك خليج البصرة أو بحر البصرة كما كان أسلافنا القدماء يسمونه في عهد الثقافة العربية الإسلامية الزاهرة.

ورأينا جسر الملك فهد إلى البحرين ممتداً على يسار الطائرة وبعده ساحل قطر.

ثم لججت الطائرة في سماء البحر العربي الذي تفرع منه ذلك الخليج الذي يأبى البعض أن يسميه عربياً رغم ولادته من بحر عربي.

ثم صارت الطائرة تماشي ساحل الهند حتى وصلت بومبيء من جهة الغرب التي هي جهة البحر، وكانت الرحلة مريحة لأن مقعد الدرجة الأولى يخرج من تحته لسان ممتدا يرتفع حتى تصبح منه ومن مقعدك كأنما أنت في سرير.

في مطار بومبيء

ظهر الجزء الجيد، ولانقول الفاخر من مدينة بومبيء وهو الواقع على شاطئ البحر بأبنيته العالية المتعددة الطوابق (العمارات) وهي مترامية ممتدة في مساحات واسعة وتقع على لسان من الأرض يشبه الجزيرة وماهو بجزيرة يشقه نهر ليس زاخراً بالمياه، وقرب النهر جهة اليابسة مداخن متعددة لمصانع وهي تنفث الدخان بلاهوادة، وبالقرب منها جبال دهم تشبه في ألوانها ألوان أهل البلاد في هذا الجزء الغربي الجنوبي من الهند.

ثم مرقت الطائرة وهي تحلق من جانب بيوت شعبية رديئة المظهر ذات سقوف من الصفيح، ومع ذلك هي مزدحمة جداً حتى أنك لاتكاد ترى فيها شوارع، وإنما هي أزقة ضيقة.

ويبدو الريف أخضر إلا أن الطرق الأسفلتية فيه قليلة، وإنما أكثر طرقه ترابية.

وقرب المطار كانت هناك أبنية كبيرة متعددة الطوابق بعضها ذو مظهر جيد.

ثم هبطت في مطار بومبيء في الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين بتوقيت الرياض ويساوي ذلك السادسة إلا خمس دقائق بتوقيت بومبيء وغرب الهند لأن الفرق بين التوقيتين هو ساعتان ونصف؛ وظهرت عدم جودة الاسفلت في المطار من كون الطائرة كانت وهي تدرج فوقه بعد الهبوط كأنما تسير على أرض غير مستوية وليس على زفت أملس كما هي عليه حال المدارج في المطارات المتقدمة وفي مقدمتها المطارات في بلادنا.

وكانت الشمس على وشك الغروب ولذلك كانت أنوار المطار مضاءة فظهرت لي أكثر سطوعاً وأحسن تنظيماً مما كانت عليه عندما تركته قبل خمس سنين.

أما أبنية المطار فإنها ظهرت وكأنما هي أسوأ مما كانت عليه في ذلك الوقت وربما كان مبعث ذلك كوننا قد تطورت الأبنية في بلادنا بل تطورت أكثر الأشياء المادية فيها إلى الأحسن كما انني في السنوات الخمس الماضية كنت أسافر في أغلب الأوقات إلى بلدان راقية نظيفة.

وعلى سبيل المثال فإن آخر سفرة لي قبل هذه السفرة هي إلى البرازيل وذلك منذ شهر فقط، وقبلها كنت في إيطاليا وبريطانيا.

ولاحظت هنا كثرة الطائرات الجاثمة في المطار وهي هندية وأجنبية بمعنى أنها تابعة لشركات طيران هندية وأخرى أجنبية، ومن

بين هذه عدة طائرات عربية منها ماهو لمصر وماهو تابع لطيران الخليج، لأن مطار بومبيء هو محطة هامة من محطات الطيران الدولي ولولا وجود مطارات نافسته في السنوات الأخيرة أو تغلبت عليه كمطار سنغافورة ومطار البحرين لكانت الطائرات الأجنبية فيه أكثر وكان الناس به أعرف.

والقموا الطائرة فم دهليز متحرك فوجدت عند بابه الأخ الكريم (صالح بن أحمد المالكي) من القنصلية السعودية في بومبيء، وكانت السفارة السعودية في دلهي قد أبرقت إليهم بذلك بناءً على معلومات وصلتهم من مكة المكرمة.

وكان مع الأخ صالح أحمد المالكي عدد من موظفي القنصلية والخطوط السعودية ومراسم المطار. فتجاوزنا بصحبتهم مكاتب الجمرك والجوازات بينما كان (أحمد باتيل) وهو هندي وموظف قديم في مكتب الخطوط السعودية في بومبيء يقوم بتخليص الجواز والأمتعة.

وعند البوابة الخارجية للمطار كان الأخ (مختار أحمد الندوي) وهو صديق قديم قد ابرقت إليه بقدومي إلى بومبيء ينتظرني مع بعض المستقبلين ومندوب من اللجنة المنظمة للمؤتمر الذي جئت إلى الهند لحضوره وهو الأخ (حسن بار) جاء إلى المطار يشرف على انزالي في بومبي وسفري إلى كيرلا ولم يكن يعرف باستقبال القنصلية أو الشيخ مختار.

في مدينة بومبيء

بومبيء - كما اسلفت - ليست غريبة عليَّ فقد زرتها مراراً، ولكنها كانت في كل مرة كما هي في هذه المرة معبراً إلى غيرها من بلاد الهند.

ولذلك لم ألبث فيها كثيراً في الماضي، وعزمت في هذه المرة على التجول في الأماكن المهمة فيها وكنت ابرقت إلى صديقي الشيخ مختار أحمد الندوي بوصولي لأنه هو الذي يستطيع أن يرتب لي هذه الجولة وهو خبير بالمدينةوخبير بما أريد معرفته منها.

ركب الشيخ مختار معي ومع الأخ المالكي في سيارة القنصلية وتركنا السيارة التي كان قد خصصها مع سائقها لتكون هي لي طيلة إقامتي في بومبي.

ونزلت في فندق من فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة في القلب التجاري الجيد من مدينة بومبي وكون الحي جيداً إنما هو بالنسبة إلى باقي أحياء المدينة، وإلا فإنه يكون معتاداً أو أقل من المعتاد في البلدان المتقدمة والبلدان الغنية بالموارد.

واسمه (امباسادور) ومعناها فندق السفير، وكل شئ في هذا الفندق بل كل شئ في البلاد له احتكاك بالجمهور عندهم هو من صنع بلادهم، حتى أكثر السيارات التي تسير في الشارع هي من هذا القبيل.

يوم الأربعاء ١٤٠٧/٥/٣٠هـ ١٩٨٦/١٢/٣١م :

في القنصلية السعودية

ذهبت للقنصلية السعودية في بومبي في هذا الصباح لشكر القنصل على استقبالي في المطار وتهيئته الفندق.

وكان الذهاب بالسيارة وهي من صنع هندي من طراز امبسادور وذكروا ان قيمتها جديدة هي ٦٥ ألف روبية أي نحو خمسة آلاف دولار أمريكي، أعدها الشيخ مختار مع أخ مرافق يعرف العربية اسمه (كفاية الله بن حماية الله). كان يدرس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وصار يعمل الآن مع الشيخ مختار أحمد السلفي داعية إلى الله براتب مؤقت ربما يوجهه الشيخ مختار للعمل في أحد المساجد خارج مدينة بومبيء.

تجاوزنا أفواج المراجعين الواقفين بصفة منتظمة على أبواب القنصلية من أجل الحصول على سمات الدخول إلى المملكة العربية السعودية وأكثرهم من العمال الذين سيوظفون في الشركات والمؤسسات التجارية في المملكة.

وذكر القنصل أن عدد الذين يراجعون القنصلية كثير حيث يبلغ عدد الجوازات نحو [٣٠٠] جواز يومياً.

وقد رأيناهم مزدحمين على أن العمل مستمر في إنجاز أوراقهم ورأيت أكداس الجوازات مرتبة حسبما وصلت إليه الإجراءات فيها وكلها منظمة ومرتبة، ولم أكن أظن أن حجم الطلبات على الحصول على سمة الدخول إلى المملكة يصل إلى هذا الحد الآن، لأن السفارة أيضاً تمنح السمات من دلهي كما هو معروف وتشغل القنصلية طابقاً واحداً من بناء واسع وهي ملك للقنصلية تجولنا فيها بصحبة القنصل الأستاذ صالح أحمد المالكي.

جولة في بومبي

قصدنا أولاً (بوابةِ الهند) التي سميت على اسم المدينة بومبي أو على الأدق لقبت بلقب (بوابة الهند) لأنها بالفعل كانت بوابة للهند في العصور الحديثة تأتي منها السفن والبضائع والتجار ويصدر عنها مثل ذلك.

وبومبيء في الوقت الحاضر أعظم مدن الهند تجارة، وأكثرها اتصالاً بالخارج وقبل أن نصل إلى (بوابةِ الهند) مررنا بمبني (البرلمان) المحلي وذكر لي المرافقون أن فيه عدداً من المسلمين انتخبهم المواطنون من مسلمين وهنادكة وكذلك الوزارة المحلية فيها عدد من المسلمين ربما كان أكثر من نسبة عدد المسلمين في المدينة.



• الحمام بجانب بوابة الهند في بومبي •

وحتى عمدة بومبيء، كان مسلماً وتم انتخابه - بطبيعة الحال - من المسلمين والهندوك لأن الهندوك هم الأكثرية الساحقة في المدينة.

وجدنا بوابة الهند مزدحمة بالمتفرجين أكثرهم من أهل الهند وفيهم طلاب ذكروا أن اليوم هو يوم عطلة لهم وقد حضر بعضهم مع

مدرسيهم هكذا قالوا.

لاحظنا أن أكثر السيارات التي تسير في شوارع المدينة هي من صنع هندي. وبعضها من صنع مدينة بومبيء نفسها وأكثرها ظهوراً (امباسادور) التي نركبها وهناك أنواع أخرى أصغر وأرخص منها، مثل سيارة أصلها (فيات) الإيطالية تصنع في الهند.

وقد منعوا استيراد السيارات الأجنبية للمواطنين إلا بشروط ثقيلة من أهمها أن يكون المواطن قد صدر من البلاد سلعاً بالنقد الأجنبي بمبلغ معين يحق له أن يستورد بجزء منه أو بنسبة منه سيارة من الخارج.

لباس النساء

ولاحظت شيئاً غريباً وهو أن لباس المسلمات الذي يتألف عادة من سروال واسع إلاّ في أطرافه السفلى وقميص طويل يصل الركبتين أو يكاد، ومنديل حريري يوضع فوق الكتفين هو الأكثر انتشاراً الآن.

وذكروا لي ان السبب أن الهندوكيات قد أخذن في السنين الأخيرة يقلدن المسلمات في لباسهن هذا وذلك لجماله وستره أو لنقل وتمشيه مع التقاليد الهندية العريقة التي تمقت الخلاعة والتهتك وكان هذا اللباس مقتصراً في السابق على المسلمات والسيخيات.

وقلَّ بالتالي ارتداء المثقفات من الهندوكيات اللباس الهندوكي التقليدي على النساء وهو الذي يتألف من قطعة من الساري طويلة عريضة تضرب الكعبين وتكاد تعرقل رجل المرأة لطوله وضيقه، ويكون منه جزء تضعه على كتفها، ليس له أية فائدة في الوقت

الحاضر، وإنما هو لمجرد التقليد.

ومع وجود هذين الجزئين الزائدين في هذا اللباس ووجود غيرهما أيضاً فيه مما لا فائدة منه، فإن اللباس هذا لابد له من أن يظهر من جسد المرأة جزءاً تحرص النساء في أنحاء العالم من غير الهنديات على ستره في العادة وهو جزء مستدير من البطن واسفل الصدر والظهر على هيئة حزام مكشوف يبين منه جلد المرأة.

وبمقارنة حال الناس في الوقت الحاضر بحالهم التي رأيتهمْ عليها في الماضي والكلام على الذين شاهدناهم في الشوارع والميادين وهم طوائف غفيرة - خيّل إليَّ أن الفقراء أحسن حالاً مما كانوا عليه في الماضي أو لنقل: إن حالتهم أقل سوءاً مما كانت عليه في الماضي.

ولكن الملاحظ أن الفقراء الآن صاروا أكثر عدداً في نظر السائح، ولاشك أن مرد هذا إلى كثرة السكان، والهجرة من القرى والأرياف الفقيرة إلى بومبيء هذه المدينة الكبيرة ذات المصانع والمتاجر، بل التجارة الدولية الرائجة.

شارع البحر

وصلنا بسيارتنا إلى شارع البحر، وعادتهم أن يروه الغريب الأجنبي ظناً منهم أنه فاخر يستحق ذلك والواقع أن الأمر كذلك بالنسبة إلى مدينة (بومبي) ولكن هذا الشاطئ الذي يفتخرون به لو قارنا منظره بالصور فضلاً عن الخُبْر أو الخبر كما فعلت أنا في نفسي هذا الصباح ببعض شوارع الشاطئ في بلدان رأيتها حول العالم لخجل أهل الهند من ذكر شاطئهم هذا.

ويكفي أن نستشهد في هذا المجال بشاطئ (كوباكابانا) في

مدينة (ريو دي جانيرو) عاصمة البرازيل السابقة وثانية مدنها في الوقت الحاضر وعهدي بالشاطئ البرازيلي هذا قريب وقد جمع الشاطئ البرازيلي أوجه الجمال كلها من جمال الرمال، واتساق الأمواج، عندما تداعبها أو حتى عندما تصافعها. إلى جمال المنطقة التي تشاهد منه من تلال خضر تنهض من بين أبنية حديثة راقية بل مترفة.

وإذا انصرف النظر – وهو لابد فاعل – إلى ماخلق الله في أشياء أخرى من جمال، لم يسعه إلا أن يسبح الملك المتعال، ذا العزة والجلال وهو أحسن الخالقين.

أما شاطئ بومبيء هذا فإن أول مايصدمك منه منظر المتعطلين والمتسكعين حوله وهم في ثيابهم وإهابهم أبعد مايكونون عن الجمال.

وأرض الشاطئ رملية ولكنه رمل كدر تخالطه صخور ذكروا أنهم أحضروها لكي تكسر قوة بعض الأمواج التي قد تهيج اذا هاج البحر فتهاجم حيطان الشاطئ القصيرة التي تفصل مابينه وبين شارع الشاطئ.

وأجمل مافي هذا الشارع البحري (البومبوي) نسبة إلى بومبي – وأرجو العفو عن هذه النسبة الثقيلة فإنها من وحي المحيط الذي هو ليس بالمحيط الهندي البحري وإنما هو المحيط الهندي البشري. هي المباني العالية القائمة على الجهة الأخرى من الشارع يفصل بينها وبين البحر هذا الشارع المسمى مثله (كورنيش) البحر.

ووقفنا في مكان من هذا الشاطئ اسمه (شوباتي) غرسوا فيه أشجاراً متفرقة من النارجيل وشربنا من ثمار النارجيل الأخضر ما أطفأنا به العطش.

الحديقة المعلقة

ثم تركنا (شوباتي) ونارجيله سالكين شارع البحر جاعلين الشاطئ على اليسار فوصلنا إلى تلة متطامنة عليها البيوت المزدحمة القديمة الطراز، ولكنها جيدة ممايدل على أنها منازل للأغنياء مثل سائر البيوت في هذه المنطقة المجاورة للشاطئ.

فصعدناها حتى وصلنا إلى الحديقة التي أسموها (الحديقة المعلقة) مع أنها من الجهة التي وصلنا إليها منها ليس فيها تعليق، ولا ماقد يفيد ذلك، إلا أنني وجدت سبب تسميتها بهذا الاسم بعد ذلك في جانب منها واقف على التلة مطل على الشارع الملاصق للبحر إطلالاً مباشراً كأنما جانب التلة منه حائط مبني وهو مرتفع ترى منه الشاطئ وقلب المدينة الجيد ومسافة كبيرة من البحر.

وأول مارأيت منها من الأشياء الجيدة زهور متنوعة ولكن أغلبها ذو لون برتقالي، وأجمل مافيها أنهم جسموا الأشجار والنبات الذي من طبيعته كثرة الغصون والتوائها فجعلوا فوقها أشرطة من الحديد أو المعدن على هيئة حيوان أو طير، ثم جعلوا يشكلون هذه الأشجار على شكل حيوان معين وصارت الغصون تغطي شرائط الحديد أو المعدن بحيث تبدو الشجرة وهي على شكل الحيوان أو الطير.

فمثلاً هذه شجرة تشبه الفرس وأخرى تشبه البقرة وثالثة تشبه الزرافة ورابعة كالصقر . . . الخ.

أما المنغصات فيها فكان أولها أسراب من الغربان تنعب نعيبها المنكر على أسوارها وفوقماارتفع من أشجارها بدلاً من أن تغني فيها البلابل.

وكان ثانيها واصعبها شحاذ ملح كالذباب الملح الموجود أيضاً

في هذه المدينة وهو طفل بل فتى في الرابعة عشرة أخذ يسأل ويستجدي بكل شئ من جوارحه فلسانه كان يتكلم وعيناه كانتا (تشحذان) وهما تضيقان وتنضحان بالذل والانكسار وقد حاول مرافقي الأستاذ (كفاية الله بن حماية الله) أن يصرفه فكلمه بلغته التي يفهمها، فلم يجد ذلك فيه شيئاً. أما أنا فإنني حاولت صرفه بالإنكليزية ثم بالأردية (جالو) إلى جانب كل الاشارات والرفض. لأنني جربت (الشحاذين) في الهند أنك إذا اعطيت واحداً هجم عليك منهم عشرة، بل عشرات وأخذوا يتجاذبون ثيابك، ويتمسحون بجسمك مع ماهم عليه من مرض أو قذارة.. ولكن هذا (الشحاذ) الملح زاد في الحاحه بل في إلحافه، وصار يقبل حذائي وكدت أعطيه شيئاً ولكنني رأيت عدة عيون ترقب المعركة بيني وبينه لتعرف نتيجتها. ثم صار يسجد على قدمي ويرفع يديه إلى مافوق ذلك يتمسح به ففهمت أنه يريد أن يتقرب بذلك إلى جيبي فنهرته فلم ينفع فيه شئ من ذلك وهددته بالشرطة فلم يرتدع فدفعته عني دفعاً وأسرعت الخروج.

مع أن المكان جيد، وفيه مناظر لابأس بها، والمتنزهون فيه هم من الطبقة الغنية والمتوسطة وهم على جانب لابأس به من حيث نظافة الثياب ومظاهر الأبدان.

وتكررت في المدينة رؤية العاملات الهنديات اللائي يكثر استخدامهن في الأعمال الشاقة كالبناء واصلاح الطرق وهن هنا كما في أكثر الأمكنة من السمراوات الخشنات لأنهن في الأغلب من الفقيرات المحتاجات للأجرة القليلة التي تكون في الغالب نصف أجرة الرجال، وتكون عليهن في كل الأحوال ملابسهن الكاملة التي هي

اللباس الهندي التقليدي للنساء وهو الطويل الذي يتدلى منه جزء ينسف فوق الكتف.

ورأيتهن هنا في أنوفهن الأزمة – جمع زمام – والزمام حلية من الذهب أو المعدن يشق لها طرف المنخر في مقدمة الأنف وتوضع فيها للزينة.

ومع كل واحدة منهن مانسميه المحفر وهو الزنبيل الذي تحمل فيه التراب والطين ونحوه وقد جعلوه قليل التقعير، بل يكاد يكون كالصحن من أجل ألايتسع لمقادير كبيرة تعجز المرأة عن حملها وتحمله إذا ملأته بالتراب ونحوه على رأسها أو على كتف واحد من كتفيها.

وعند الخروج من هذه الحديقة اعترضتنا امرأة تحمل طفلاً على ذراعها وهي تستجدي وتقف في وجهي لتمنعني بذلك من الهرب عنها إذا حاولت أن اروغ منها كانت أسرع لاعتراضي ومن الغريب أنها تضع أيضاً في أنفها زماماً تتحلى به.

مشرحة البارسي

وكدت أقول مجزرة البارسي. لأنها في الحقيقة أشبه ماتكون بالمجزرة وإن كان أهلها يسمونها مقبرة، لأنها تكون لأجسام ميتة لا حياة فيها.

وتقع غير بعيدة من الحديقة المعلقة هذه، ولكنها ضمن مساحة كبيرة من حديقة ذات أشجار عالية.

وهذه مخصصة لهذه الطائفة الهندية التي هي فارسية في الأصل وتدين بالمجوسية ولاتزال وتملك هذه المشرحة أو المقبرة كما يسمونها.

وعادتهم إذا مات الميت منهم ألا يدفنوه كما يفعل المسلمون، ولايحرقونه كما يفعل الهندوكيون، وإنما يلقون به في بئر في هذا المكان فتأتي إليه طيور جارحة قد اعتادت على ذلك فتقضي على جثته تمزقها وتنهشها حتى تدعها عظاماً ما عليها لحم أو عصب. وقد حاولت أن أدخل إلى المكان ولكنني وجدتهم عند باب المكان الواسع الذي هو فيه قد منعوا الدخول لغير الموظفين في المقبرة، وكتبوا ذلك على بابه، بل زادوا عليه أن وضعوا حراساً أقوياء فتكلمت مع أحدهم وقلت له : إنني غريب أريد أن أرى شيئاً مما يجري هنا فقال: هذا ممنوع.

ثم ذهب إلى مكتب هناك واحضر منه رجلاً طويل القامة، لايشك من يراه بأنه فارسي الأصل لولا قترة في لونه من طول لبثه ولبث آبائه في هذه المنطقة. فكلمني بعربية ضعيفة يظهر أنه تعلمها في أحد أقطار الخليج، وذكر أنه لايسمح مطلقاً لأي شخص أن يدخل إلى المقبرة، وحتى المكتب الذي خرج منه ذكر أنه ممنوع على أي شخص من غير طائفة (البارسي) الدخول فيه ونطق الباء في البارسي بمايقرب من النطق بالفاء فقلت له : أتعني هذه الكلمة (فارسي) المنسوب إلى الفرس؟.

فقال : نعم وهي التي تعني إيراني، لأننا (إيراني) في الهند من زمان.

ولم أشاهد الجثث التي تمزقها الطيور الجارحة، وإنما شاهدت بقايا المجوس الذين هجروا إيران إلى الهند، وبقوا على ديانتهم المجوسية لأنهم لم يسلموا من قبل، إن كان المشهد يوحي بأن ذلك ممكن لأنني رأيت سيارة كبيرة مكتوباً عليها أنها مخصصة لنقل الموتى، وغرباناً

تنعب وتتطاير مع طيور جارحة أخرى في داخل هذا المكان الواسع الذي هو أشبه ببستان فيه أشجار عالية ضخمة وكأن تلك الطيور تحتفل بهذه المائدة المجوسية العفنة.

في وسط المدينة

ثم انطلقنا إلى القلب التجاري لمدينة بومبيء وهو القلب التجاري القديم ولكنه لايزال محتفظاً بمكانته التجارية ولاتزال الصفقات التجارية الضخمة تعقد فيه، والشواهد على ذلك في تجارة العود ودهنه وغيره من العطور كلها تتم فيه.

وهو مزدحم إلى درجة ترهق الأعصاب، بل تحطمها وتدخله السيارات إلا أنها لاتستطيع أن تسير في داخله إلا بصعوبة شديدة، من زحام الأناسي والدواب والعربات التي يجرها الرجال وقد يتعاون عليها رجلان أو أكثر يدفعها بعضهم من الخلف ويجرها بعضهم من الأمام وهي محملة بالأحمال الثقيلة من أكياس السكر والأرز ونحو ذلك. وقد أوقف السائق سيارته قبل الوصول إلى قلب السوق، وقال: إنه يصعب عليه السير فيه غير أننا رأينا سيارات أخرى تدخله مضطرة من أجل أن تحمل شيئاً أو تنزل شيئاً فيه. والحقيقة أن هذا السوق يعطي صورة صادقة عن الأسواق التجارية التي كانت سائدة في المدن الكبيرة قبل خمسين سنة.

وحوانيته متلاصقة لأن أبنيته كلها متلاصقة وهي اسمنتية البناء أو بالآجر المطلى وفوقها المنازل وارتفاع الأبنية فيه من ثلاثة طوابق إلى أربعة.

وأما الناس فإن الاحتكاك بهم في هذا الزحام الشديد ممايضايق

المرء مثلنا لاتساخ ملابس بعضهم ورائحة أجسادهم لاسيما مع الحر والرطوبة إضافة إلى القذى الأحمر الذي يبصقونه في الأرض عندما يبصقون أوراق التنبول وما أضيف إليه مما يجعل الأرض تبدو فيها بقع البصاق في أية اتجاه وجهت بصرك إليه إلاّ أنه لحسن الحظ أن الازدحام يغطي ما على الأرض منه في هذه البقعة المزدحمة من قلب المدينة ولانعدم سائلاً مستجدياً يزيد ضيقك أيضاً من هذه السوق وإذا كان حظك حسناً فلم يمسك بك أحدهم، وكان حظ السائل سيئاً فلم يشاهد صيداً سميناً مثلك فإنك لن تعدم عطسة أو سعلة أو سعلات يلقي بها صاحبها في الهواء من غير أن يكلف نفسه عناء وضع منديل على أنفه أو فيه عندما يعن له أن يعطس أو يسعل.

والشئ الجيد أنه رغم الزحام الشديد، فإنك لاتسمع من أصحابك من يحذرك من السرقة أو الانتهاب، بل الأمن هو الأصل وإن كانت هذه الأمور قد تحدث نتيجة تظاهر الشخص بأنه غريب، أو بأنه موسر أو تفريطه في حفظ نقوده.

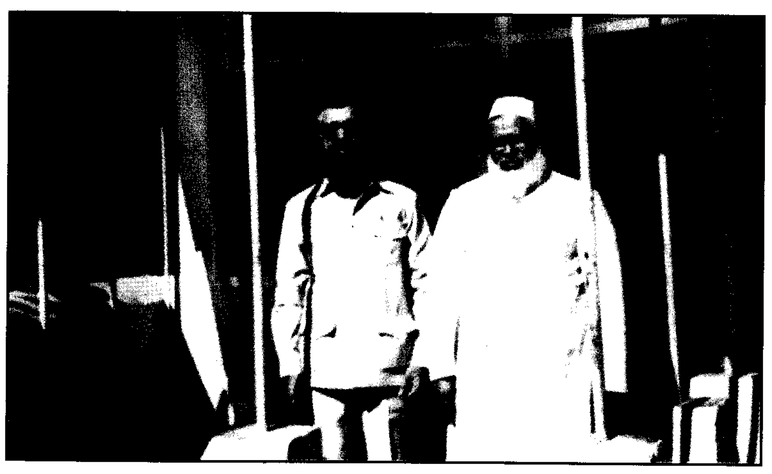
في حي مادن فورا

وهو حي كان أكثره للمسلمين في القديم ولايزال المسلمون يؤلفون جزءاً لا بأس به من سكانه يبلغ ٣٥٪ منهم، وكانت أولى العلامات على سكنى المسلمين في وجود عدد من الأخوات المسلمات اللائي كن متنقبات أي يسترن كل وجوههن ماعدا العينين وماحولهما وبعضهن كن متحجبات تماماً، وهذا الحي يعتبر من الأحياء السكنية القديمة الجيدة في وسط بومبي ذو أبنية متعددة الطوابق أكثرها مابين أربعة طوابق إلى خمسة.

وأخبرنا الأخوة هنا أن عدداً من المسيحيين من أهل الهند يجاورونهم في هذا الحي أي يسكنون معهم وأنه لاتوجد مشكلات بينهم .

الدار السلفية

ثم زرنا الدار السلفية للنشر والطبع في الحي نفسه مؤسسها وصاحبها صديقنا الشيخ مختار أحمد الندوي وهو أيضاً رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ونائب رئيس جمعية أهل الحديث في الهند ورئيس إدارة إصلاح المساجد .



● المؤلف مع الشيخ مختار أحمد الندوي أمام مدخل الدار السلفية في بومبي●

وقد زرنا بجانبها إدارة اصلاح المساجد هذه والتقطنا صوراً لمقرها وحدثنا الشيخ مختار الندوي عما حققته فقال : لقد ساعدت إدارتنا على بناء نحو مائة مسجد في أنحاء الهند ولاتزال خمسة عشر مسجداً تحت الإنشاء، وذكر أن أكثر مادفعوه لهذه المساجد هو من تبرعات الأخوة مسلمي الهند وأنهم حصلوا هذا الشهر على اثنين

وأربعين ألف روبية تبرعات من الأخوة المسلمين في الهند.

وذكر أن بعض المحسنين من أهل الخليج العربي بنوا مساجد كاملة في الهند يبني الواحد أو الواحدة منهم مسجداً كله بنفقته واعطاني الشيخ مختار قائمة بهذه المساجد أمام كل مسجد مبني اسم المتبرع به وذكر منها مسجداً بناه كله التاجر السعودي عبدالعزيز بن عبدالرحمن الموسى.

وذكر أن مركز عملهم كان قبل ذلك في بلاد (كوكن) التي تقع إلى الشمال من بومبي، وكانت قبل ذلك مقراً لطائفة من التجار العرب.

وهذا هو البيان الذي أعده الشيخ مختار أحمد السلفي موضحاً فيه أسماء المساجد الجديدة والأشخاص الذين بنوها بنفقتهم أثابهم الله.

بيان بأسماء المساجد التي بنيت على نفقة المحسنين مع ذكر الادارات والمدن التي تقع فيها

الرقم اســـم المســجد	المتــبرع
١– جامع مسجد محمدي	السيد صالح علي الشايع الكويت
٢– مسجد أهل الحديث	السيد صالح علي الشايع الكويت
٣– مسجد حبيب هال مسلم يونيو رستي	السيد صالح علي الشايع الكويت
٤– مسجد سلفية	السيدة فاطمة بنت يوسف بودي زوجة السيد صالح على الشايع الكويت
٥– جامع مسجد أهل الحديث	السيد أحمد صالح علي الشايع الكويت
٦– مسجد دار العلوم أحمديه سلفيه	السيد صالح علي الشايع الكويت
٧– جامع مسجد أهل الحديث	سليمان صالح الرهيماني الكويت
٨– نكينه مسجد	السيد صالح علي الشايع الكويت
٩– مسجد محمدي	السيد صالح علي الشايع الكويت
١٠– مسجد أهل الحديث	المرحوم الشيخ عبدالله علي المحمود
١١– جامع مسجد	السيد جمال الغرير دبئي
١٢– جامع مسجد	الشيخ عبدالعزيز عبدالله الموسى
١٣– مسجد	الشيخ أحمد بن حجر– الدوحة قطر
١٤– مسجد أهل الحديث	فاعل خير
١٥– مسجد طرف	الشيخ عبدالعزيز بن باز
١٦– مسجد	فاعل خير
١٧– مسجد حسن مكها ثاني	فاعل خير
١٨– جامع مسجد	فاعل خير
١٩– جامع مسجد أهل الحديث	الشيخ أحمد بن حجر الدوحة قطر

الرقم اسم المسجد	المتبرع
٢٠- مسجد أهل الحديث	الشيخ أحمد بن حجر الدوحة قطر
٢١- مسجد أهل الحديث	فاعل خير
٢٢- مسجد أهل الحديث	فاعل خير
٢٣- مسجد محمدي	فاعل خير الدوحة قطر
٢٤- مسجد محمدي	فاعل خير
٢٥- مسجد	محمد بن محمد الزمامي طرف الشيخ عبدالرحمن المحمود
٢٦- مسجد أهل الحديث	ساره بنت راشد الزمامي الدوحة
٢٧- مسجد محمدي	سارة بنت راشد الزمامي الدوحة قطر
٢٨- مسجد أهل الحديث	سارة بنت راشد الزمامي الدوحة قطر
٢٩- جامع عائشة الدعيج	عبدالله عبدالعزيز المزيني
٣٠- مسجد جوك بنارس	السيد أحمد المزيني
٣١- جامع مسجد أهل حديث	ريم أحمد المزيني
٣٢- مسجد أهل حديث	السيد / دلال عبدالعزيز المزيني
٣٣- جامع مسجد	رنا المزيني
٣٤- جامع مسجد	السيد خضر المسباح
٣٥- جامع مسجد	عبدالله علي المطوع
٣٦- مسجد محمدي	موضى بنت علي بن سلطان القناعي
٣٧- جامع مسجد ومدرسة	مبارك محمد مبارك العميري
٣٨- جامع مسجد الكبير	جاسم محمد السبيعي الكويت
٣٩- جامع مسجد	جاسم محمد السبيعي الكويت

الرقم	اســـم المســـجد	المتــبرع
٤٠	جامع مسجد	عبدالمحسن الرفاعي
٤١	مسجد أهل الحديث	عبدالله دخيل الجسار
٤٢	مسجد ومدرسة	عبدالله دخيل الجسار
٤٣	مسجد	جسار دخيل الجسار
٤٤	مسجد	خولة دخيل جسار
٤٥	مسجد	السيدة مريم عبدالعزيز ابا الخيل
٤٦	مسجد رحماني	جمال علي العمر
٤٧	مسجد	عبدالله علي المزيني
٤٨	مسجد	عبدالرزاق علي المزيني
٤٩	جامع كاكاد	فاعل خير
٥٠	مسجد	بدر البدر
٥١	مسجد	عبدالرحمن المطوع
٥٢	مسجد	طرف جاسم العون
٥٣	مسجد	فاعل خير
٥٤	مسجد	شريفة جاسم العون
٥٥	مسجد	مبارك الراشد
٥٦	مسجد	أسماء المُجْحَمْ
٥٧	مسجد الرحمانية	سعد محمد عبدالله العريمان

الرقم	اسم المسجد	المتبرع
٥٨-	مسجد فاروقية	عبداللطيف عبدالرزاق الكويت
٥٩-	مسجد	رشيد عبدالرحمن
٦٠-	مسجد حضرت ميان صاحب	أبوعبيد عجمي
٦١-	مسجد ومدرسة	السيد طارق العيسى
٦٢-	جامع مسجد محمدي	مناحي العصيمي
٦٣-	جامع مسجد	مناحي العصيمي
٦٤-	مسجد	خالد العبد المحسن
٦٥-	جامع مسجد	عبدالعزيز علي الوزان
٦٦-	جامع مسجد	عبدالله محمد الربيعة
٦٧-	مسجد	مريم راشد السيف
٦٨-	مسجد	عبدالعزيز عبدالرزاق بوقريص
٦٩-	مسجد	محسن مرزوق المطيري
٧٠-	مسجد	طرف السيد عبدالرحمن الفارس
٧١-	مسجد	علي الجبر
٧٢-	مسجد	فواز العثمان
٧٣-	مسجد	حسين أحمد محمد
٧٤-	مسجد	حسين أحمد محمد

الرقم اسم المسجد	المتبرع
٧٥- مسجد دار الدعوة	حسين أحمد محمد
٧٦- مسجد سلفية	عبدالله علي المطوع
٧٧- مسجد سلفية	حسين أحمد محمد
٧٨- مسجد أهل الحديث	فاعل خير
٧٩- جامع مسجد أهل الحديث	بواسطة السيد عبدالرحمن الفارس
٨٠- بنغالي مسجد أهل الحديث	بدرية محمد الساير
٨١- جامع مسجد مرول	بدرية محمد الساير
٨٢- مسجد ومدرسة	دلال إبراهيم
٨٣- جامع سراج العلوم الكبير	المرحوم محمد ناصر الساير
٨٤- مسجد	معالي السيد يوسف جاسم الحجي
٨٥- مسجد سلفية	معالي السيد يوسف جاسم الحجي
٨٦- جامع مسجد	فاعل خير
٨٧- مسجد رحماني	السيد خلف الصهمل
٨٨- مسجد أهل الحديث	محمد علي القاضي
٨٩- جامع مسجد	مرحومة موضى عبداللطيف العثمان
٩٠- مسجد سلفية	مريم عبدالعزيز ابا الخيل
٩١- مسجد أهل الحديث	فواز العثمان

من طرف	المدينة	الولاية
إدارة إصلاح المساجد بمباي	امردوبها، بستي	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	اكربار كاون، اورنك آباد	مهاراشترا الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	جامعة إسلامية علي كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كوهانه	هريانه شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	ريشا، بريلي	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	لهريا سراى، دربهنكه	بيهار شرق الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	دومن بوره مئونات بهنجن، اعظم كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	منماد، ناسك	مهاراشترا غرب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	آنند	كجرات غرب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	حيدر آباد، مباركفور،	يوبي شمال الهند
	اعظم كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	مرزاهادي بوره مئو اعظم كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	سروان كوكن	مهاراشترا غرب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	منير، بليا	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كرلا كتن مندلي بمباي	مهاراشترا غرب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	ديوجاني، برتاب كره	يوبي الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	ماتنكا ليبر كيمب بمباي	مهاراشترا غرب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	صدر بازار مئونات بهنجن	يوبي شمال الهند

من طرف	المدينة	الولاية
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كوسي اعظم كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	راني بوره مباركفور، اعظم كره	
إدارة إصلاح المساجد بمباي	لشكر محله ميسور	كرناتكا، جنوب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كول بازار، بلهاري	كرناتك جنوب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	آزاد نكر برتاب كره	يوبي شمال الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كندل بيت ميسور	كرناتك جنوب الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	ولوبورم	تامل نادو
إدارة إصلاح المساجد بمباي	ايلورو وجي واره	اندهرابراديش الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	اسلام بيت وجي واره	اندهرابراديش الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	كهارى	مدهيه براديش الهند
إدارة إصلاح المساجد بمباي	وكرولي	بمباي
جمعية إحياء التراث الإسلامي	منصورة ماليغاون	الهند
جمعية إحياء التراث الكويت	جوك بنارس	يوبي، الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	بوريو سنتهال بركنه	بهار شرق الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	باك برا	يوبي الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	باك برا	يوبي الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	كاولي	جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	جلكل كوره حيدراباد	آندهرا
جمعية إحياء التراث الإسلامي	بجرديهه بنارس	يوبي، شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ببني خرد كوركبور	يوبي، شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	مومن بوره ناكفور	مهاراشترا غرب الهند

من طرف	المدينة	الولاية
جمعية إحياء التراث الإسلامي	فيض عام مئو اعظم كره	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ميرت	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	دومن بوره كساري مئو اعظم. كره	
جمعية إحياء التراث الإسلامي	بارور شولابور	مهاراشترا غرب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	فتح بور باره بنكي	يوبي الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	بلائي بتنم مدراس	تامل نادو الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ويليور	كيرالا، جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	كيرالا	كيرالا، جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	بيكن واري / كوندي	بمباي غرب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	آلندور مدارس	تامل نادو جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	كشي باغ بنارس	يوبي جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ندوة المجاهدين، كالي كوت	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ندوة المجاهدين. كالي كوت	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ندوة المجاهدين، كالي كوت	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ندوة المجاهدين، كالي كوت	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ندوة المجاهدين، كالي كوت	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	نانانور، ندوة المجاهدين	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	نانانور، ندوة المجاهدين	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	نانانور، ندوة المجاهدين	كيرالا جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	ورينكل	كيرالا جنوب الهند

من طرف	المدينة	الولاية
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	وجي واره	الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	كيرالا، ندوة المجاهدين	جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	باتك حبش خان	دلهي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	جمشيد بور تاتانكر	بيهار شرق الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	ادوني	آندهرابراديش جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	رتلام	مدهيه برديش
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	جمال بوره مئو اعظم كره	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	اسلام بوره مباركفور اعظم كره	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	كولدن نكر ماليغاون ناسك	مهاراشترا غرب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	بت بوره بستي	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	بيل دانكه مرشد آباد	بنكال / شرق الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	مشيرآباد، حيدر آباد	الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	بوبال	مدهيه براديش غرب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	كواكاجا	بنغال شرق الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	بواني فور بدايون	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	اعظم كره (آصف كنج)	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت	ويدهن	مدهيه براديش وسط الهند

من طرف	المدينة	الولاية
جمعية إحياء التراث الإسلامي	لال كوبال كنج، برتاب كره	يوبي شمال الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	اسلام نكر مدارس	تامل نادو جنوب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	كوريولي بج	كجرات غرب الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	مدهوبني	بهار الهند
جمعية إحياء التراث الإسلامي	نور علي لين كلكتا	مغربي بنكال الهند
السادة / فيصل ومساعد بدر محمد الساير الكويت	مدن فوره بمباي	مهاراشترا غرب الهند
السادة / فيصل ومساعد بدر محمد الساير الكويت	مرول منطقة المطار الدولي / بمباي	مهاراشترا غرب الهند
السادة / فيصل ومساعد بدر محمد الساير الكويت	جندن باره جمبارن	بهار شرق الهند
السيد محمد ناصر الساير الكويت	بونديهار سكوئيا كونده	يوبي شمال الهند
جمعية الشيخ عبدالله النوري	زاهدآباد كوركهفور	يوبي شمال الهند
جمعية الشيخ عبدالله النوري	بلي رام فور جمبارن	بهار شرق الهند
إدارة إصلاح المساجد بومباي	ترامبي	بمباي
إدارة إصلاح المساجد بومباي	برتاول بازار جوك كوركفور	يوبي الهند
إدارة إصلاح المساجد بومباي	ككراله بدايون	يوبي الهند
إدارة إصلاح المساجد بومباي	بتنه	بيهار الهند
إدارة إصلاح المساجد بومباي	كونتر بالي	كيرالا الهند
إدارة إصلاح المساجد بومباي	بواني فور	يوبي الهند

هذا وقد شرح لنا الشيخ مختار أحمد الندوي بعد ذلك العمل في الدار السلفية للطبع والنشر وهي دار نشر خاصة تجارية تقوم على نشر الكتب الإسلامية وبخاصة كتب الحديث الشريف ورجاله بالعربية طبعاً رأيت من ذلك سنن البيهقي ويعتمدون على محققين أكفاء حتى يصدر الكتاب عنهم وهو محقق تحقيقاً علمياً.

كما أنهم يطبعون وينشرون كتباً عديدة باللغة الأردية.

العود إلى السوق

طلبت من الشيخ مختار أن يذكر لي اسم تاجر اشتري منه شيئاً من عود البخور وذلك لأنني لا أثق بتجار العود وحتى المسلمون منهم وقد جربت ذلك من قبل فأرسلني إلى شخص اسمه (محمد إقبال) قال: إنه من أحسن الباعة.

ذهبنا إليه في حانوته فرحب بنا ثم جعل يرينا أصنافاً من العود ويذكر أثمانها وأكثرها أثمان مرتفعة، ثم يأتي بأنواع أخرى غيرها ويقول إنها رخيصة الثمن فقلت في نفسي (إغلط ولاتخاف) لأننا لانستطيع أن نناقشك ثم قلت له: إنني أرجو أن تختار بنفسك نوعاً من النوع الجيد غير الغالي جداً وتعطيني منه وسوف أثني عليك وادعو لك إذا استعملته ووجدته جيداً وإن كان الأمر خلاف ذلك فإنه سيكون الأسف لأنك زميل لنا في طلب العلم، كما أخبرنا عنك الشيخ مختار الندوي وكما ذكرت ذلك عن نفسك.

وكان قد ذكر لنا أنه من طلبة العلم وأنه لن يغشنا.

فأرانا دهن العود وهو الزيت الذي يستخرج من عود البخور وقال: ثمن التولة خمسة آلاف روبية والتولة يعادل وزنها عشرة

غرامات فهو أغلى من الذهب بكثير فقلت له: إن شراء هذا الطيب بهذا الثمن اعتبره من الإسراف ولذلك سأشتري منك العود نفسه دون دهنه.

وذكر لنا أن العرب يشترون من هنا أنواعاً من العود الذي يسميه الخشب ليفرق بينه وبين دهن العود في الكلام فالكيلو الممتاز منه بخمسين ألف روبية.

فقلت: وهذا أيضاً اعتبره من الإسراف لأنه يكفي عنه الذي يباع الكيلو منه بعشرة آلاف روبية، بدلاً من أن يشتروا الغالي بهذا الثمن المرتفع ويحرقوه فكأنما أحرقوا هذه النقود الكثيرة.

ومن الطبيعي أن لايعجبه هذا الكلام لأنه بائع عود، وإنما أعجبه أنني اشتريت منه عوداً متوسط النوع والثمن ولكن كافٍ لي.

مسجد السوق

وقد يسمونه المسجد الجامع رغم وجود عدة جوامع في مدينة بومبيء أي مساجد تقام فيها صلاة الجمعة.

وذلك لسعته وشهرته وقوة بنائه وكان مظهراً من مظاهر عز للمسلمين وغلبة في هذه المدينة قد زال أكثرها إذ كان المسلمون هم المسيطرين على التجارة في سوق بومبي وبأيديهم أغلب تجارة الاستيراد والتصدير ألا أن الهنادك زاحموهم على ذلك بعد الاستقلال، وإن كان لايزال للمسلمين إسهام كبير في التجارة.

وقد وصلنا إلى هذا المسجد مشياً على الأقدام لفرط الزحام في الأسواق التي حوله، لأنها في القلب التجاري لمدينة بومبيء.

وهو متسع جداً ذكر أنه يتسع لألفي مصل رغم كونه في منطقة

مزدحمة غالية وقد بني إلى ذلك بطريقة لم تبال بتوفير النفقات، بل جعلت الهم الأول أن يكون متسعاً يكفي للمصلين العاملين في السوق وماحوله من منازل المسلمين، وأن يكون فاخر المظهر، ومن ذلك منبر فيه جميل من الرخام وكذلك المحراب من الرخام الذي تأنقوا فيه وأجمل مافيه وأغرب هو بركة ضخمة للوضوء وضعوها في مكان منخفض في جزء منه أعدوه لذلك وأرسوا في هذا المكان المنخفض بعض الأعمدة التي تحمل المسجد بثقل طابقيه وماتحتهما، وجعلوا الماء ينبع من الأرض فيملأ هذه البركة الضخمة على طول الدهر لاتحتاج إلى زيادة من خارجها، إلا أنهم أحياناً يدفعون المستعمل ليحل محله ماء نظيف وذكروا أنهم وضعوا هذا المكان على جزء من نهر جلبوه قبل ازدحام المنطقة بالعمارة وقال بعضهم إنه نبع من الأرض ولعله يريد نهراً فالمترجمون ليسوا في الدقة على الوجه المطلوب، وإنما الشئ الذي يلفت النظر هنا هو أن يرى المرء جزءاً من الفناء المسقوف من المسجد مغموراً بطريقة منسقة إذ غاصت فيه بعض الأعمدة دون أن تتأثر أو يتأثر ماحولها بالماء.

وقد رأينا تاريخ بناء مدرسة بجانبه مكتوباً عليها بالعربية أنها في عام ١٣٢٠هـ إلاّ أنهم ذكروا أن هذا هو بناء المدرسة وأما بناء المسجد فإنه كان في عام ١٢١٧هـ.

وذكروا اسم بانيه (نوخذا محمد علي روني) من أهل كوكن، والنوخذا هو رئيس البحر، أورئيس السفن في البحر.

ثم صعدنا إلى طابق ثانٍ في المسجد، وفيه محراب كما في الطابق الأرضي، إلاّ أنهم أخروا الصف الأول فيه، بمسافة صف واحد، وذلك لكيلا يكون أحد المأمومين الذين يصلون في الطابق

الثاني متقدماً على الإمام فتبطل صلاته .

والطابق الثاني هذا أحدث بناءً من الأول فقد ذكروا انه بني على حالته هذه في عام ١٢٥٣هـ وذكروا انه يمتلئ مع الطابق الأول في رمضان وفي أيام الجمع.

وتحف بالمسجد ملحقات وضعوا عليها منارات رمزية وقباب صغيرة تعطي انطباعاً بأنها بمثابة الجزء من مبنى المسجد.

طلبت من شخص يعمل في المسجد كان يرافقنا أن يدلني على إمام المسجد فدلني عليه فطلبت من الإمام أن نلتقط له صورة معنا فأبى وقال : لايجوز التصوير في المسجد فقلت إن كلامك صحيح لو كان هذا الذي نريد أن نفعله هو التصوير الذي ورد النهي عنه في الحديث ولكنه مجرد إمساك الظل وانعكاس الصورة على شئ في الآلة شبيه بالمرآة، مثلما تنطبع صورتك على صفحة المرآة المعتادة، فيستطيع شخص أن يمسكها منطبعة عليها حتى بعد أن انتقلت من حذاء المرآة.

أما التصوير المنهى عنه فهو محاولة إيجاد صورة أخرى غير الصورة الحقيقية التي تنطبع على الآلة العاكسة. كما في لفظ الحديث. «**إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون**» (رواه البخاري ومسلم) وجاء في بعض الروايات زيادة «**الذين يضاهون خلق الله**». فيضاهون معناها يشابهون.

والأمر في تصويرنا هذا ليس فيه مضاهاة ولا طلب المشابهة وإنما هو أخذ الشكل الحقيقي الذي عليه الشخص أو الشئ.

والحديث الآخر وهو قدسي معناه يقول الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة**» أخرجه

البخاري ومسلم، وفي رواية أخرى زيادة «**فليخلقوا شعيرة فليخلقوا ذبابة**».

وفي حالتنا ليس هناك من يحاول أن يخلق صورة أخرى، بل هو إمساك للصورة الحقيقية.

ولكن إمام المسجد لم يقتنع بهذا التوجيه. ولم اقتنع أنا برأيه.

ثم خرجنا من المسجد الجامع أو (مسجد السوق) نتمشى في جزء آخر من السوق أو قل الأسواق المزدحمة في مدينة بومبي فقطعنا شارعاً عابراً مزدحماً بالسيارات والأنأسي حتى إن أبواق السيارات تزعج الآذان كما تزعج الأعين، وفي أرضه وأرصفته بقع البصاق الأحمر الذي يتفله من يأكل التنبول منهم وهم كثر.

فزرنا مكتبة المعارف وهي مكتبة إسلامية تبيع الكتب الإسلامية خاصة تملكها الدار السلفية وتبيع في هذه المكتبة مطبوعات الدار السلفية وغيرها من الكتب الإسلامية.

وأكثر الكتب التي فيها هي باللغة الأوردية. وعليها حركة بيع وهي كبيرة مليئة بالكتب مما يدل على رواج الكتاب الإسلامي.

وفي هذه الأسواق المزدحمة لايعدم المرءُ رؤية بعض الأشخاص من رجال ونساء وهم يبيعون الأطعمة القليلة، التي لايشك في أنها غير نظيفة وبخاصة إذا قاس حالها على حال بائعها.

سكان الشوارع

مررنا عند العودة إلى الفندق بطائفة من سكنة الشوارع وقد ناموا أو جلسوا في أسافل الحيطان والمباني لابيوت لهم ولا أثاث إلا قطعة من الخيش وإناء للطبخ والشرب في آن واحد.

والمفزع في الأمر أنهم ليسوا أفراداً، بل تجد أسراً بكاملها لا مساكن لها، وإنما تسكن في الشوارع، أو لنقل إنها تبقى في الشوارع طول أعمارها دون أن تستأجر منزلاً، أو تجد مايسترها عن العيون. اللهم إلا ماكان من أمر فئة منها ربما عدوها راقية فيهم وهذه تجعل لها قطعة كبيرة من الخيش أو القماش وتضع من تحتها أعواداً ترفعها بها تستظل بها من الشمس إذا كانت مقابلة لمكانهم.

وهؤلاء يؤلفون مئات الألوف في شوارع بومبيء وقد رأيت جماعات منهم.

وعندما عدت إلى فندقي المزخرف حتى سقفه وفي ذهني حالة المستجدين الملحفين من الزمنى والمحتاجين. وكذلك حالة هؤلاء الساكنين في الشوارع عجبت من التناقض عندهم فلو كانوا تركوا التزويق والزخرفة في هذا الفندق وخفضوا قيمة إيجاره بقدر ذلك لكان أفضل للنزيل، وكان أقرب إلى العقل عند الصرف في بلد فيه أمثال الطوائف التي ذكرتها.

رأس السنة الميلادية

وجدتهم زينوا الفندق بزينة إضافية من الأنوار الملونة، وشرائط ملونة أيضاً وذلك لمناسبة رأس السنة الميلادية الجديدة الذي سيحل عند منتصف هذه الليلة.

وفي الليل امتلأت أبهاء الفندق ومطاعمه ومقهاته بطائفة من المتأنقين المترفين وبعضهم معهم أطفالهم وقد جاءوا إلى الفندق للاحتفال بهذه الليلة الميلادية بالعشاء في الفندق أو ربما دعاهم غيرهم إلى ذلك، أو لمجرد التفرج برؤية الآخرين الذين جاءوا مثلهم

لهذا الغرض.

وقد أطلقت المدافع في مدينة بومبي عند إنتهاء السنة الحالية ١٩٨٦م ودخول السنة الجديدة ١٩٨٧م، وكذلك انطلقت مفرقعات متفرقة عديدة في أنحاء من المدينة احتفالاً بهذه المناسبة.

وعجبت هذه المرة كما عجبت من قبل لهذا التفاوت العجيب في الهند بلاد العجائب إذ قارنت بسرعة في ذهني بين هؤلاء المترفين والمترفات وبين سكنة الشوارع من الرجال والنساء الذين لايجدون لهم مسكناً، وحتى لو افترضنا أنهم قد يجدون المسكن في أماكن بعيدة عن المدينة فإن مجرد وجودهم على هذه الصفة في شوارع بومبي أمر يؤسف له وهو وصمة عار في جبين هذه المدينة التجارية، إذْ يجب على الحكومة أن تجبر الناس على ترك ما يسئ السمعة للبلاد مثل حالة سكنة الشوارع هؤلاء.

أما هؤلاء المتأنقون والمتأنقات فقد تعددت أشكال ملابسهم فالساري الهندي موجود هنا بكثرة ولكنه على بعض المتأنقات المجددات قد تقلصت أسافله فارتفعت قليلاً عن القدمين لئلا يعرقل المشي وبعضهن عليها الملابس الأفرنجية المعتادة في الحفلات مثل الأثواب الطويلة المعتادة.

وبعضهن قد ارتدين لباس المسلمات ولكنهن جعلنه أضيق مما هو عليه عند المسلمات إلاّ أنه لابد من الخمار الذي صار على المسلمات مجرد شعار يوضع على الكتفين وتتدلى طرفاه فوق الكتفين والظهر.

وفي مقابل هؤلاء المتأنقين يوجد عدد من العاملين المتزلفين في الفندق فمثلاً لابد من وجود شخص واقف عند باب الفندق يفتحه

لك ويغلقه خلفك.

ولم أسأل أهل الفندق عن الحكمة من وجودهم ولم لم يكتفوا بما اكتفى به الأوربيون ومن قلدهم في العالم وهو أن يفتح النزيل باب الفندق بنفسه لنفسه إذا أراد.

وكذلك لابد من وجود شخص لابس لباساً قديماً يشبه لباس حرّاس الأباطرة، مهمته أن يفتح لك باب السيارة إذا وصلت، أو إذا اردت الركوب من الفندق. وهو ينتظر منك مقابل ذلك أن تضع في يده شيئاً إلا أنك إذا لم تعطه ما أراده - عرفاً - فإنه لايطلبه منك ولكنك تلاحظ أنه يشعر بأنك قد قصرت عن إعطائه ماتعود على أخذه.

والأغرب من ذلك أنه حدث أكثر من مرة أن جاء عامل يطرق باب غرفتي ومعه ورقة من بدالة الهاتف فيها بأن فلاناً أو الرقم الفلاني قد طلبني وعندما تسلمتها منه وقف منتظراً الحلوان (البقشيش).

مع أن هذه أمور صغيرة تضعها الفنادق العالمية في ورقة مع مفتاح غرفتك إذا كنت غائباً عن الغرفة أو يتصل بك عامل البدالة إذا كنت موجوداً في الغرفة.

يوم الخميس ١/٦/١٤٠٧هـ ١/١/١٩٨٧م

السفر إلى المطار

حضر إليَّ الأخ الشيخ مختار أحمد الندوي في السابعة والنصف من هذا الصباح وذلك للخروج إلى المطار إذ من المقرر أن يكون سفري إلى مدينة كوشن في كيرلا في الثانية عشرة والنصف ولكنه ذكر لي أنه لابد من التبكير من أجل طول الطريق بعد هذه الساعة من النهار وطوله ناشيء من الزحام الشديد فيه إضافة إلى كونه طويلاً بالفعل.

وغادرنا فندق امباسادور في الثامنة إلى المطار مع شوارع بومبي التي لم تزدحم بعد.

ورأيت بعض سكنة الشوارع في هذه الساعة المبكرة وبعضهم يتمطون وبعض أفراد الأسرة، وحتى الجيران في الشارع لايزالون يغطون في نوم عميق إذا كانوا في الجانب الذي فيه الظل من الشارع.

والشئ الذي قل إزعاجه في هذا الصباح هو الدخان المؤذي الذي تنشره السيارات وبخاصة الحافلات الكبيرة في شوارع المدينة فيلوث الهواء ويزكم الأنوف ويؤذي العيون، غير أن هناك شيئاً آخر لم يقل إزعاجه وهو نهر المجاري فقد مررنا به فوق جسر عليه تمر فوقه السيارات وهو بمنظره ورائحته هو القذر المتناهي.

وكنت رأيته قبل عشر سنين على هذه الصفة فذكروا لنا أن الحكومة تريد أن تدفنه في وسط أنابيب ضخمة وتريح العيون من منظره والأنوف من زكامه، ولكنها لم تفعل حتى الآن إلاَّ تغطيته في بعض الأماكن، وهو نهر ضِخم لاتسهل تغطيته وإنما يمكن تغطية

بعض روافده لأنه يتلقى من الشوارع والأزقة في هذه المدينة الكبيرة ماجعله بهذه المثابة من الكبر والاتساع.

وتجاوزناه مسربن.

ثم وصلنا مطار بومبي فوجدنا على باب الدخول إلى مكاتب الترحيل جنوداً أو موظفين يمنعون غير المسافرين من الدخول ولكن الشيخ مختار الندوي تكلم معهم في ذلك قائلاً: إن هذا ضيف عربي دبلوماسي نسبة إلى كوني أحمل جواز سفر سياسياً فسمحوا له بالدخول معي، وكان يقصد من ذلك تسهيل سفري وإيناسي جزاه الله خيراً.

فوجدنا طوابير طويلة أمام مكاتب الترحيل وأكثر المسافرين معهم أمتعة كثيرة يحملونها على العربات اليدوية التي تكون في المطارات.

وكان على المكتب الذي سنرحل منه امرأة مسنة لا أذكر أنني رأيت امرأة في سنها في أي مكتب ترحيل في العالم وتبين أنها ماهرة جداً وسريعة إذْ سرعان ماتسرب الطابور الذي كان أمامنا وانتهينا من إجراءات الترحيل.

لذلك أسرعنا إلى قاعة انتظار داخلية قبل الدخول إلى قاعة المغادرة التي لابد قبل دخولها من التفتيش وأردت أن أدخل قاعة المغادرة حتى اتخلص من هاجس المحافظة على حقيبتي اليدوية حيث تكون قاعة المغادرة أكثر أمناً في المعتاد، إلا أن موظفة عند باب القاعة منعتني من الدخول، وقالت: لم يحن الوقت بعد.

مغادرة بومبي

بعد وقت طويل ممل ذكر لنا الموظفون أن الطائرة سوف تتأخر قليلاً سمحوا بدخول قاعة المغادرة فاصطف الركاب ولكن الموظفين كانوا يدخلونهم اثنين اثنين ولايسمحون لأكثر من ذلك إلاّ إذا كانوا أفراد أسرة واحدة.

وتبين أن ذلك لشدة التفتيش من أجل الأمن فكانوا يبدأون بفحص حقيبة اليد فحصاً آلياً كهربائياً بحيث تضعها في آلة الفحص، ويأمرونك بتركها والذهاب إلى مكان آخر، ولا تدري مايصنع بحقيبتك.

ثم تقف في صف طويل أمام باب الفحص الآلي فإذا دخلت منه والمفهوم أن هذا كافٍ للإطمئنان على كون الراكب لايخفي شيئاً كما هو المعمول به في المطارات الدولية إلاّ أنهم يدخلونك إلى محراب منفرد (كشك) فيبدأون بفحص جسمك بآلة صغيرة كهربائية، ثم يبدأ المفتش بفحص جسمك ويتحسسه بيده.

ويبحث عما في جيوبك مع أنه كان قد فحصها بالآلة الكهربائية اليدوية وفحصها بيده وبعد أن ينهي ذلك يختم على بطاقة دخول الطائرة التي تحملها ويطلق سراحك فتذهب إلى مكان مقابل للمكان الذي تركت فيه حقيبتك اليدوية فتجدها عند الضباط المفتشين مع غيرها من الحقائب، فيفتحونها ويفتشونها ثم يختمون على بطاقة معلقة فيها كانوا قد أعطوها كل الركاب من قبل.

وانتظرنا فترة في قاعة المغادرة التي امتلأت بالمسافرين لأنها قاعة

للرحلات الداخلية نقوم منها عدة رحلات.

ثم أعلنوا عن الصعود للطائرة فاصطف الركاب أمام باب الخروج إلى الطائرة.

فكانوا يخرجون كل خمسة أو سبعة من الركاب ويوقفون الآخرين فيذهب الخارجون إلى حيث الحقائب والأمتعة فيتعرف كل واحد منهم على حقائبه أو أمتعته، وأية قطعة تعرف عليها الراكب ينظر إليها الضابط ويقارن بين بطاقة دخول الطائرة التي يحملها الراكب، وبين الحقيبة، ثم يختم على الاثنين وهما البطاقة التي يحملها والأخرى المعلقة على الحقيبة الكبيرة، ثم يدع الراكب ينصرف.

وقد قامت الطائرة إلى كوشن متأخرة ساعة وأربعين دقيقة عن موعدها المحدد في الأصل، والحديث عن الرحلة إلى (كوشن) وإلى كيرلا بصفة عامة في كتابي: «الاعتبار في السفر إلى مليبار».

يوم الجمعة ٩/٥/١٤٠٧هـ ٩/١/١٩٨٧م

العودة إلى بومبي

بعد الفراغ من حضور مؤتمر الجمعيات السلفية في كوتي بورم في كيرالا سافرت إلى مدينة حيدر آباد الدكن وهي آخر امارة مسلمة استولى عليها الهنادك بالقوة ثم سافرت إلى مدينة بهوبال عاصمة ولاية (مدهيا برديش)، أي الولاية الوسطى، لكونها في وسط الهند. وبهوبال ذات ذكريات عزيزة على التاريخ الإسلامي، بل على العلم والعلماء فقد كان سلطانها عالماً مسلماً مجتهداً هو السيد صديق حسن خان وصارت تحت حكمه مقصداً لطلبة العلم من جميع أنحاء العالم حتى عرف ممن قصدها من علماء نجد الشيخ سعد بن عتيق والشيخ اسحاق بن عبدالرحمن بن الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -.

وقد عدت من بهوبال إلى بومبي البارحة. ونزلت في فندق (سنشور) القريب من المطار وهو فندق جيد من فنادق الدرجة الأولى. ثم هاتفت الشيخ مختار أحمد الندوي فاتفقنا على أن يأتي إليّ غداً أي في هذا اليوم في الفندق لنستأنف البرنامج المقرر في بومبي وغيرها من ولاية (مهاراسترا) هذه الواقعة في غرب الهند.

في جامع أهل الحديث

ذهبنا مرة ثانية إلى حي المسلمين (مادن فورا) وذلك لأداء صلاة الجمعة في جامع أهل الحديث في هذا الحي.

وطلب مني الشيخ مختار أحمد السلفي أن أخطب فيهم خطبة الجمعة وأؤمهم في الصلاة فامتنعت من ذلك جرياً على عادة لي قديمة

أخذت بها نفسي في مثل هذه المواقف والهدف منها هو ترك ماللإمام الراتب من حق التقدم ولكي أرى بنفسي كيف يؤدي الناس صلاتهم ويخطبوا خطبتهم.

فخطب في الناس الشيخ مختار خطبة بليغة دارت حول التوحيد والنهي عن البدع المحدثة في الدين وكان يورد النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويشرحها بالأدلة وأشبع القول في هذا الموضوع جزاه الله خيراً.

وصلى بالناس صلاة ليس فيها شئ لم نألفه في أداء صلاة الجمعة عندنا، وذلك لكون الشيخ مختار سلفياً من أهل الحديث، بل هو نائب الرئيس لجمعية أهل الحديث المركزية في عموم الهند. ثم طلب مني أن ألقي كلمة في المصلين، وكان ذكر لهم أثناء الخطبة أنه سوف يطلب مني أن ألقي فيهم كلمة تشتمل على النصح والتوجيه وذكر لهم وظيفتي الحالية الرنانة وهو نائب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة والوظائف التي سبقتها ومنها الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ثم وكيل الجامعة المذكورة ثم الأمين العام للدعوة الإسلامية.

ولم يكن هذا عن استشارة لي في الموضوع وإلاّ لما أحببت هذا التطويل في التعريف والتهويل في ذكر وظائفي السابقة والحالية.

فتكلمت فيهم كلمة ترجمها الشيخ مختار تضمنت من بين ماتضمنته الحث على التمسك بالآداب الإسلامية والالتزام بالأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام في المعاملات، وأن يكون المسلم مثالاً حياً لذلك كله حتى يتأسى به الآخرون ويعرف غير المسلمين أن الإسلام ممثلاً في شخصه هو خير وبركة على الجميع من مسلمين وغير

مسلمين.

وحذرتهم من أن عدم الالتزام بذلك ينفر غير المسلمين، بل قد ينفر بعض المسلمين الذين لابصيرة لديهم في الدين عن الإسلام، وبذلك يكون فاعله قد جنى جناية عظيمة على الإسلام والمسلمين يعاقب عليها في الدنيا والآخرة.

ثم ذهبنا بعد الصلاة للدار السلفية للطبع والنشر حيث تناولنا الغداء على مائدة الشيخ مختار أحمد، وكان معنا الأخ الكريم (طارق سامي العيسى) وهو مهندس كويتي من العاملين في تاييد الدعاة إلى الإسلام في العالم، وذلك من خلال رئاسته لجمعية إدارة المساجد وإحياء التراث الإسلامي في الكويت، وكنت عرفته أثناء مؤتمر السلفيين في كيرالا قبل أيام، إلا أنه عاد بعد انقضاء المؤتمر إلى بومبي وذهبت أنا إلى الأماكن التي ذكرتها.

ثم ذهبت مع الأخ طارق العيسى وبعض الأخوة إلى سوق بمبيء لشراء حاجات منه فاشتريت من ذلك قميصاً هندياً طويلاً، لأن اللباس العالمي المسمى بالأفرنجي لايستسيغ العلماء والمتدينون هنا لبسه لطالب العلم لأنه تشبه بأهله الأصلاء وهم الإفرنج كما يقولون وإلاَّ فإنه صار زياً عالمياً للإفرنج وغيرهم، بل إن الذين يلبسونه الآن في أنحاء العالم أكثر عشرات المرات من الإفرنج.

كما اشترينا حريراً طبيعياً من بعض المتاجر وبحثنا عن تحف مناسبة فلم نجد مايروق لنا.

يوم السبت ١٠/٥/١٤٠٧هـ - ١٠/١/١٩٨٧م

إلى مالي قاون

(مالي قاون) : مدينة تقع في شمال ولاية (مهاراسترا) وتبعد عن مدينة بومبي مسافة ٢٥٠ كيلومتراً جهة الشمال.

والقصد من الذهاب إليها هو زيارة الجامعة المحمدية التي أنشأها الإخوة المسلمون السلفيون فيها على رأسهم صاحبنا الشيخ مختار الندوي.

مرّ عليَّ الأخ مختار ومعه الأخ طارق العيسى في فندق (سنشور) الذي أسكن فيه فغادرناه في السادسة والنصف صباحاً على سيارة الشيخ مختار التي لم يكن فيها غيرنا إلا سائقه وهو أخ مسلم متفرغ للعمل في هذه السيارة صبور على كثرة تنقلات الشيخ مختار وضيوفه.

وفي هذه الساعة المبكرة كان جو الشوارع في الضاحية التي نسكن فيها غير صاف وذلك لوجود ضباب خفيف أشبعته الرطوبة المنبعثة من البحر، ووجود ضباب خفيف إضافة إلى دخان بعض سيارات النقل والحافلات الكبيرة.

مررنا بمكان تكاد رائحته العفنة تصرع من يمر بها ولذلك استعد له الأخوة ونبهونا إلى تكميم أنوفنا حذاراً من تسلل رائحته إلى الصدور ونوهوا بأنه حي الدباغين وأن هذه الرائحة المنبعثة منه إنما هي رائحة المدابغ مضافاً إليها قاذورات راكدة لايستطيع السكان طردها عن الحي وان سكان هذا الحي يعيشون هكذا فيه وفيما جاوره صابرين على رائحته الخبيثة الخانقة لأنهم لايستطيعون غير ذلك وذكروا أن الحكومة كانت قد تعهدت بإخراج الدباغين منه.

بكور الغراب المنظف

ضرب أسلافنا العرب المثل ببكور الغراب وهو ذهابه من وكره في وقت مبكر من الصباح ابتغاء لقوته. ولكن الغربان في بومبي تبكر كغربان الصحراء عندنا إلاَّ أنك تلاحظ أنها كثيرة كثرة لافتة للنظر. وهي في هذه المنطقة التي نمر منها الآن كثيرة جداً ومنسجمة مع هذه المناظر القابضة للنفس.

وتذكرت هنا ماسمعته من أهل الهند من أنهم يتيامنون بالغربان على عكس العرب الذين كانوا يكرهون رؤيتها، وذلك لكونها ترى في كثير من الأحياء في الأماكن التي رحل عنها الأهل والأصحاب حتى إذا وصل الغائب منهم، كالمسافر يطلب أهله في مكان من الصحراء كان قد تركهم فيه وجدهم رحلوا لتوهم. ووجد في أماكنهم الغربان تبحث عما قد يكونون قد رموه أو تركوه مما يرغبون عنه في ذلك المكان.

فحكم العرب عليها بأنها مفرقة الأحباب، وعلامة على نزوح الأهل والأصحاب، لذلك تشاءموا بها وابغضوها.

أما أهل الهند فإنهم فيما ذكر لي على العكس من ذلك يحبون الغربان لسببين أولهما اعتقادهم بأن كثرة وقوعها على البيوت يدل على أن غائباً سيقدم . وثانيها، أنهم يسمونها المنظفة لأنها تأكل الأقذار وبقايا الأطعمة التي لايأكلها الناس أو يرغبون عنها.

فقلت في نفسي وأنا أرى الغربان حول هذه الأكوام المتراكمة من النفايات والقمامات: أين تنظيف الغربان؟

إن الغربان في الحقيقة هي جزء من القذارة التي تحتاج إلى تنظيف.

أما الرأي الصحيح في الأصل في وجود الغربان في الهند، فهو أن ذلك راجع إلى العقيدة الدينية الهندوكية التي تحرم ازهاق الأرواح، وتنهى الإنسان عن قتل الحيوان حتى المؤذي منه كالحيات ونحوها؛ ولكن المرء يسأل نفسه في هذا الصدد سؤالين:

أحدهما : لماذا استفادت الغربان وهي طيور قبيحة المناظر والأصوات من هذه العقيدة الهندوكية فنمت وكثرت، ولم تستفد الطيور الجميلة أو النافعة كالبلابل والحمام ونحوها؛

والثاني : لماذا ينهي الهنادك أنفسهم عن قتل الحيوان حتى الضار والمؤذي منه، ولم ينهوها عن قتل إخوانهم في الوطن ممن يخالفونهم في الدين كالمسلمين الذين يزخر تاريخ الهند الحديث بأخبار قتلهم وإحراقهم في منازلهم، وبين ممتلكاتهم، ولايزال الهنادك حتى الآن يفعلون ذلك أثناء الاضطرابات الطائفية.

وعلى سبيل المثال الحاضر ماحدث لي في سفرة سابقة وهو أنني كنت قطعت تذكرة سفر من بومبي إلى ولاية كجرات وهي ولاية غربية هندية تجاور ولاية (مهاراسترا) التي نحن فيها الآن من جهة الشمال، ولكنني لم استطع السفر إليها لأن الحكومة أعلنت حظر التجول في عاصمتها (أحمد آباد) وامتنع الناس حتى المواطنون الهنود عن السفر إليها خوفاً من القتل على أيدي الهنادك الذين يهاجمون المسلمين، وإذا شكوا ذلك إلى رجال الشرطة وهم أو أغلبهم من الهنادك أيضاً كانوا أو كان أكثرهم ضد المسلمين؟.

هذا وقد شاركت طوائف من الكلاب الضالة الغربان في التبكير إلى شوارع بومبيء حتى رأينا سائق سيارة أمامنا يدهس كلب منها، فكان صراخ الكلب المسكين موجعاً محزناً، وقد تجاوزه السائق وكأنه

لم يفعل شيئاً كما أننا مررنا بالقرب منه في الشارع ولم نستطع أن نفعل له شيئاً والظاهر أنه سوف يموت.

يسكنون في الأنابيب

رأينا عدداً من الأنابيب الكبيرة بجانب الطريق الممتد تبين فيما بعد أنها لمياه الشرب وهي واسعة أوسع بكثير من الأنابيب القديمة وهي من الأسمنت ورأيناهم قد دفنوا بعضها، إلاّ أن الغريب أن الملقى في الطريق منها قد سكن فيه طوائف من الناس الذين هم مثل سكنة الشوارع وربما كان السبب في سكناهم داخل هذه الأنابيب التي رأينا بعضهم نائماً داخلها حتى الآن هو عدم وجود أماكن خالية من الأماكن التي يستطيعون أن يسكنوا على حواشيها فهم في هذه الأنابيب رجال الأنابيب ونساء الأنابيب وقد يصدق على أطفالهم الذين يأتون نتيجة لقاء أهلهم في هذه الأنابيب الوصف حقاً بأنهم أطفال الأنابيب، وليس أطفال الأنابيب التي تحتضن الحيوان المنوي وبويضة الأنثى خارج الرحم.

ومر الطريق فوق جسر على خليج ضيق في البحر داخل في البر فكان منظره أيضاً قابضاً للنفس لعدم نظافته ومايحيط به من الأرض.

عراة في الشوارع

بينما كنا في الشارع الرئيسي المزدحم بالسيارات وبالناس في بلدة كسارى وأغلبهم من الموظفين الذاهبين إلى أعمالهم ومن التلاميذ والتلميذات الذين كانوا ذاهبين إلى مدارسهم شاهدنا والسيارات مسرعة منظراً لم أصدق عيني عندما لمحته ولكن الذين

معي أكدوه، إنه منظر رجال خمسة أو ستة عراة تماماً كيوم ولدتهم امهاتهم من ناحية عدم وجود الثياب عليهم أما من النواحي الأخرى فإنهم الآن أبشع منظراً، وأقبح خلقة وهم على حالتهم هذه من يوم ولدتهم أمهاتهم بطبيعة الحال.

ولكي أتأكد مارأيت طلبت من السائق أن يعود إلى ذلك المكان من الشارع لأنهم كانوا يسيرون على أقدامهم فرجع فرأيناهم ونحن نتجاوزهم متجهين جهة الجنوب، وحين رجعنا إلى الجهة التي كنا متجهين إليها أصلاً وهي جهة الشمال.

والمخجل أن هؤلاء العراة تماماً كانوا يسيرون في الشارع ووراءهم وأمامهم أناس فيهم تلميذات وتلاميذ وفيهم نساء خرجن لأعمالهن، وفيهم فضوليون يتبعونهم.

وأخبرونا أن سبب عريهم هو الزهد في الدنيا واتباع مذهب في الهندوكية يشدد على الزهد في الدنيا ويطلب ممن يعتنقه أن يتجرد من كل شئ حتى اللباس لايضع على جسده منه شيئاً البتة طول حياته، وهم من فرقة هندوكية يسكنون الغابات ويسمون بلغتهم سنياسي وهو الذي زهد في الدنيا نسبة إلى سنياس، وقال بعض المسلمين: إن سنياس تعني البوادي لأنهم يسكنون في الأماكن الخالية من الناس والياء ياء النسبة. وذكروا أنهم الآن ذاهبون إلى المعبد الهندوكي.

ولا أدري لم تخيروا هذه الساعة بالذات التي يكون فيها الشارع مزدحماً بالناس ليخرجوا من بيوتهم كما قيل لنا أو مدرستهم كما قال آخرون وهو الأقرب، لأن المفروض أنهم قد زهدوا في كل شئ حتى البيوت وكان بإمكانهم أن يذهبوا إلى المعبد في غير هذا الوقت أو من

غير هذا الطريق المزدحم أو كان بإمكانهم أن يتركوا زهدهم بالثياب ولو لفترة قصيرة هي الطريق إلى المعبد فيضعوا على عوراتهم فوطة صغيرة كما تفعل طوائف من الهنادك في أكثر أيام حياتهم وعندما ذكرت خجلي وأنا في السيارة من منظر هؤلاء العراة أمام النساء والفتيات قال لي أحد الأخوة من أهل الهند إن هناك طائفة من زهاد الهنادك أتباع رام، كبير آلهة الهندوك الذي يذكرون أنه أقام فترة في جبال سنمر بقربها، يعيشون في غابات هناك تقع إلى جهة الغرب من تلك الجبال أو في معابد في تلك الغابات وهم عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم مثل هؤلاء ويعيشون طيلة حياتهم هناك. وأنهم يخرجون في وقت معين من السنة من تلك الغابات لزيارة غار كان أقام فيه معبودهم (رام) بزعمهم فتجتمع إليهم طوائف من الهنادكة من رجال ونساء ومنهم أناس من كبار القوم ويتبعونهم في خروجهم من الغابات إلى تلك الجبال ويتمسحون بهم على سبيل التبرك وهم عراة.

وحمدت الله تعالى على نعمة العقل والدين، وذكرت قولاً لأحد الأخوة المسلمين من المفكرين من أهل الهند عندما أبديت له عجبي من هذه الأمور التي تخالف العقل في الديانة الهندوكية، قال: إن هناك مبدأً مرعياً عندهم، وهو أنه على من يريد أن يكون هندوكياً متديناً أن يطرح عقله جانباً. لأنه إذا سأل عقله عما في هذه الديانة الهندوكية لم يستطع أن يؤمن بها إيماناً عميقاً.

وكأنما كان أصحاب الرأي بقولهم ذلك يحكمون على أنها ديانة فيها مايخالف العقل.

وفهمت أيضاً قولاً كنت سمعته من أخوة لنا آخرين في الهند حينما سألتهم عما إذا كانت للهنادك مدارس دينية مثل المدارس

الإسلامية الكثيرة التي لاتخلو منها بلدة أو ربما قرية من القرى التي يقطنها مسلمون في الهند؟

فأجابوا بأنه لاتوجد للهنادك مثل هذه المدارس الإسلامية، لأن أغلبهم لايدرسون الهندوكية ولو درسوها لم يؤمنوا بها، ولم يظلوا على هندوكيتهم، وذلك لمخالفتها للعقل، وغموض أهدافها ولذلك أغلب الهندوكيين من الهنود هم يكونون كذلك تقليداً لآبائهم وأجدادهم، لا عن دراسة واقتناع بدينهم. وإنما تدرس ديانتهم في معاهد خاصة لتخريج الكهنة أو الرهبان فقط وليس لتعليم عامة الشعب أمور دينهم الهندوكي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعبد بالعري ليس مقتصراً في الهند على بعض أتباع الديانة الهندوكية وإنما هو أيضاً مذهب الغلاة من أتباع الديانة الجينية التي لها عدد قليل من الأتباع ولكنهم معروفون مشهورون فيذكرون أن قدوتها مهاويرا عاش عرياناً تماماً من الثياب في آخر حياته وحث أتباعه على العري.

مدينة بيوندي

مررنا بمدينة كان اسمها القديم (اسلام آباد) أي بلدة الإسلام وهذا متكرر في عدة أماكن من الهند وباكستان وقد عرفت عدداً منها (اسلام آباد) عاصمة باكستان وهي حديثة التسمية، بل حديثة الإنشاء، ومدينة (إسلام آباد) في كشمير التي تحتلها الهند وقد زرتها وتكلمت عن ذلك في كتاب «سياحة في كشمير».

أما هذه البلدة فإنها كانت ميناء على ساحل الهند وكان أكثر أهلها من المسلمين واليوم يخالطهم فيها الهندوكيون وإن كانت

لاتزال فيها نسبة عددية طيبة من المسلمين.

وقد أصبح اسمها الآن بيوندي وقد مررنا بشارعها العام فرأيت في هذا الشارع نساء يحملن الماء على رؤسهن.

وسيارات كبيرة من حافلات وشاحنات تلوث هذا الشارع بأدخنتها المزعجة.

منطقة كوكن

منطقة كوكن كان اسم (إسلام آباد) يشملها في القديم أما في الحديث فإن كوكن صارت علماً على المنطقة ومعناها (منطقة الجبال)..

وقد دخلنا المدينة في كوكن وهي كبيرة تعد مع الضواحي التي تجاورها أكثر من نصف مليون ساكن وفيها مصانع لنسج الحرير الذي كانت صناعته تقتصر على المسلمين ولايزالون هم الأغلبية من نساجه في عدة أماكن من الهند وإن كان الهنادك قد أخذوا في السنوات الأخيرة يزاحمونهم على هذه الصناعة كما زاحموهم على غيرها.

قال لنا الشيخ مختار الندوي ونحن ندخل إلى داخل المدينة إنه لاينبغي أن يعرف عنكم أنكم أجانب حذراً من أن تستجوبنا الشرطة لأنه كانت قد حدثت قبل وقت قصير اضطرابات في هذه المدينة بين المسلمين والهنادكة.

وكان أول مارأيناه في الشارع امرأة مسلمة متحجبة تماماً على حين أننا قد رأينا طائفة من الهندوكيات فيها وهن منْ المهراتيين الذي نسبت هذه الولاية مهاراسترا إليهم، أو لنقل أنهن مهراتيات ومعنى (مهاراسترا) : ولاية (المهراتيين) ولنساء المهراتيين الهنادكة طريقة

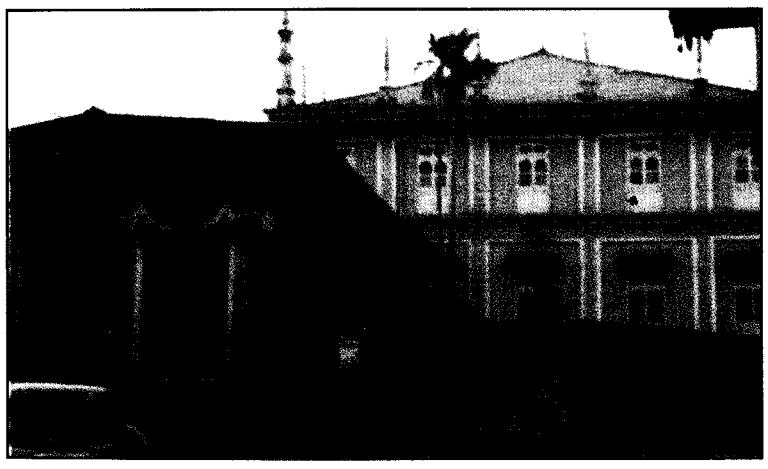
عجيبة في اللباس هي مخجلة لمن لم يتعود رؤيتها ذلك بأن المرأة تلبس فوطة صغيرة تشدها شداً عنيفاً حول وسطها ولاتنزل إلا إلى أعلى من الركبة وفوقها صدري قصير الكمين.

لقد ذكر ابن بطوطة رحمه الله الجواري المهراتيات وقد اعجبنه، بل ربما يكن خلبن لبه، فذكرهن حتى في معرض كلامه على جزر مالديف.

مسجد السلفيين

مررنا بالشارع الذي يفضي إلى الشارع العام ولم نجد فيه شيئاً لافتاً للنظر مثله في ذلك مثل الشارع العام فأرصفته كما هو المعتاد في أكثر أنحاء مدينة بومبي عاصمة ولاية (مهارسترا) هذه.

ورأينا في حواشيه مناقع للمياه طال لبثها حتى اسودت، ومع ذلك نبتت عليها زهور وحشية.



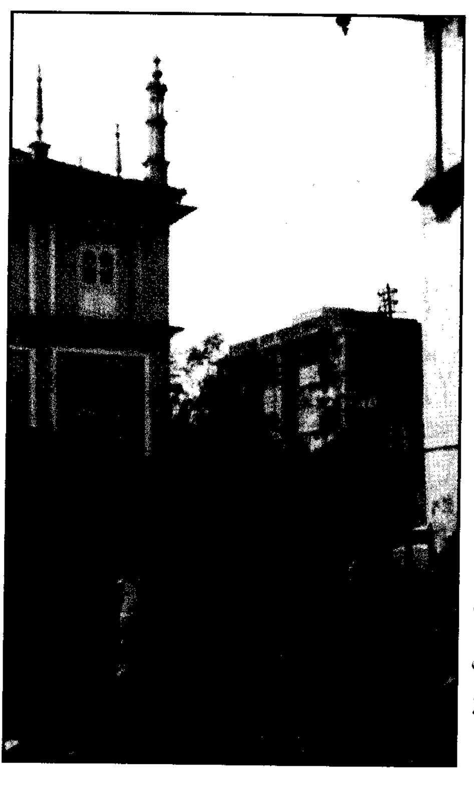
■ مسجد السلفيين، أو أهل الحديث في إسلام آباد – شمال بومبي ■

ودخلنا القسم القديم من المدينة وهو الذي تصح تسميته بالقسم الإسلامي لأنه القديم الذي كان موجوداً عندما كانت المدينة تكاد تعتبر خالصة للمسلمين، فوجدناه أنظف من غيره كثيراً شوارعه غير واسعة ولكن لها أرصفة لابأس بها إلا أن أزقته غير مستقيمة.

فوقفنا عند جامع السلفيين في المدينة والتقطنا له صورة، ولم نجد فيه أحداً لأن الوقت ضحى، وليس بوقت صلاة أو دراسة.

وحتى البيوت التي في المدينة المجاورة للمسجد وكلها للمسلمين أو كانت لهم هي نظيفة يبين عليها اليسار.

ولا غرو في ذلك لأنها لتجار من المسلمين الذين لاتزال منهم بقية فيها كما سبق.



■ زقاق قديم في بيوندي شمال بومبي ■

وتبعد عن مدينة بومبي بخمسة واربعين كيلومتراً جهة الشمال.

ثم قفلنا راجعين إلى الشارع العام الذي هو الطريق إلى (مالي قاون).

قرية بالفي

تركنا (بيوندي) وسرنا مع الطريق متجهين جهة الشمال ففارقنا ساحل البحر عندما فارقنا المدينة وأصبحنا نسير مع الطريق دون أن نرى البحر.

فمررنا بقرية اسمها (بالفي) فيها مسلمون مثل غيرها من قرى (كوكن) التي يراد بها الناحية هنا وليس الاسم مقتصراً على مدينة واحدة منها كما سبق وقدمت أن معنى اسمها (ناحية الجبال) إذْ أصل اسمها (كوه كن) فكوه تعني الجبل وكن تعني ناحية.

وكل ناحية كوكن تقع على البحر أو قريباً منه وقد سكنها التجار العرب في القديم فنشروا الإسلام في أهلها وتزاوجوا معهم وصارت هذه الأماكن مراكز تجارية، ومرافيء للتجارة مابين الساحل الهندي في هذه النواحي وبين البلدان العربية في الخليج وعمان.

الريف الهندي

ثم أوغل الطريق في ريف هندي خالص، جيد المظهر، إذ في الأرض أعشاب وحشائش للرعي. والمزارع فيه وإن لم تكن متواصلة فإنها جيدة.

وذكر لنا الإخوة من المسلمين الهنود أنهم يصيدون من هذا الريف حيواناً من الزواحف يسمونه الضب ويرون أنه هو الضب العربي، أو هو قريب منه يزعمون انه دواءٌ لبعض الأمراض وبخاصة الضعف في الباه.

هذا ولاتزال الشاحنات الضخمة تضيق الطريق وتزعج سالكيه بأصواتها وأدخنتها. وبعضها واقف في جانبه ومررنا بنهر صغير

شحيح المياه.

وكذلك في الطريق عربات تجرها الثيران، وان يكن ذلك على قلة بالنسبة للموجود في بعض الولايات الهندية كولاية بيهار مثلاً.

وعربات الثيران تستعمل أكثر ماتستعمل لحمل الاثقال وقد تستعمل أيضاً للركوب.

والطريق متوسط التزفيت وليس رديئاً كما أنه متوسط السعة ويعتبر جيداً بالنسبة إلى مستوى الطرق الريفية في الهند.

ثم أصبح الريف أكثر نضارة وتنسيقاً ومر بنا قطار كهربائي جيد على يسار الطريق وهذا عجيب من أمرهم ، وقال أحدنا : كان أولى بهم أن يصرفوا المبالغ التي صرفت على كهربة هذا القطار في اسكان سكنة الشوارع أو في تنظيف الأجزاء القذرة من مدينة بومبي إذا كان لايوجد عندهم من المال إلاّ مايكفي لأحد الأمرين.

جبل كسار أو وادي لطيف

اسم الوادي اسم عربي الأصل لأنه منسوب إلى أخ مسلم اسمه عبداللطيف كان أول من ابتدأ العمارة في هذا الوادي فنسب إليه ولكنهم حذفوا كلمة عبد من اسمه.

وبعد (وادي لطيف) بدأنا الصعود في جبل اسمه (كسارا).

وقد رسموا عند بوابة الصعود في الجبل جمجمة كبيرة تحذيراً للسائقين من التهور في القيادة، أو عدم العناية فيها في الجبل كما تفعل شركات الكهرباء عندما ترسم جمجمة وعظمين حول محطات الكهرباء ذات الضغط العالي الذي يقتل من يمسه.

وذلك كله من باب التنبيه على الخطر في صعود هذا الجبل، مع أن الجبل ليس من العلو بالمكانة التي تبعث الخوف في نفوس السائقين ولكن سياراتهم وبخاصة الشاحنات منها ليست مرنة الحركة، وربما يصعب انحرافها في المجالات الضيقة.

وتتخلل الجبل وديان فيها أشجار الغابات لكنها غير ملتفة.

وذكر الأخ مختار أن مرجع ذلك إلى الجدب الذي أصاب المنطقة حتى أصبحت أجزاء من ولاية مهاراسترا هذه تعتبر منكوبة واعلنت السلطات فيها أن ٦٤ قرية فيها قد وصلت إلى حالة الخطر.

· وحمد الله تعالى على أن هذه القرى التي وصلت فيها قلة المياه إلى حالة الخطر ليست من قرى المسلمين في الولاية وإن كان النقص في قرى المسلمين موجوداً.

وفي هذا الجبل نفق طويل منحوت فيه ممر للقطار الكهربائي الذي سبق ذكره ويسمى قطار بنارس السريع، أو (بنارس اكسبرس).

ثم رأينا عدة أنفاق للقطار في هذا الجبل إلاَّ أنها صغيرة.

ويقطع القطار هذا الطريق بين بومبي وبنارس في ثلاثين ساعة، ويمتلئ بالركاب بحيث لابد للركوب فيه من الحجز قبل السفر بوقت طويل. مع العلم بأن الطائرة تقطع المسافة مابين المدينتين بساعة ونصف.

ولقد رثيت لعدة ثيران تجر عربات وهي تجاهد في صعود الجبل، وتومئ برؤسها يميناً وشمالاً كأنما ذلك يساعدها على الحركة.

ولايسع المرء مثلي الذي زار الهند ورأى تعظيم أهلها للبقرة وهو

تعظيم يصل إلى حد العبادة عند المتمسكين منهم بدينهم الهندوكي أن يفهم كيف يهينون الثور هذه الإهانة وهو أبوالبقرة وابنها وسبب وجودها فيعظمون البقرة ولايفعلون ذلك بالثور وهذا من مخالفة دينهم الهندوكي للعقل.

ثم وصلنا قمة الجبل التي ترتفع خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وبدأنا بالانحدار إلى بلدة (إيقت بوري).

وصلنا هذه البلدة فكان أهم مافيها رؤية سوق ريفية تقام فيها يوم السبت يسمونها (سوق السبت) ومحطة للقطارات أهمها هذه الذاهبة إلى بنارس.

وأهم مارأينا ظاهراً في سوقها أعداد من الثيران للبيع ومعظم الذين في السوق هم من القرويين، ولذلك كثرت فيه العربات التي تجرها الثيران وعليها بعض ماينتجه هذا الريف يريدون بيعه.

جبال رام

وأنا الذي سميتها بهذا الاسم لأنني لم أعرف اسمها الحقيقي، وإنما عرفت أن فيها كهفاً اختفى فيه كبير معبودي الهنادك (رام) من عدوه (راون) عندما أراده هذا بسوء وخاف منه ولك أن تتصور ربا يخاف من عدوه ويختفي منه في كهف في جبل.

وقد جعل البراهمة وهم رجال الدين في الهندوكية أو إن شئت قلت هم صوفية الهنادك يقيمون في كهوف في هذه الجبال أسوة بإقامة (رام) فيها.

ويخرج البراهمة في يوم معين من الغابات التي يعيشون فيها أو من المعابد الهندوكية إلى هذه الكهوف، فيأتي الجماهير الهنادك

ويقيمون المهرجانات عند معبد للبراهمة مشهور في المنطقة.

ويخرج البراهمة عراة من الغابات الى المكان يراهم الناس ويتبركون بهم وهم كذلك كما سبق واسم هذه الغابات: (بنشوتني).

مدينة ناسك

ولفظها هكذا عربي فصيح فهو ناسك من النسك وهي غير بعيدة من هذا المكان الذي يشهد مهرجانات واحتفالات دينية هندوكية ومدينة (ناسك) مدينة مقدسة عند الهنادك.

مررنا بهذه المدينة لأن الطريق الرئيسة التي نسير عليها تمر بها وهي طريق تذهب إلى دلهي. والمدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة.

وربما كانت كلمة (ناسك) العربية جاءت إليهم بمعنى متعبد بوساطة اللغة الفارسية التي كانت معروفة بل منتشرة في هذه المنطقة وغيرها من أنحاء عديدة في الهند إبان الحكم المغولي، أو أن تكون مما دخل في الاوردية مباشرة من العربية وتبعد عن مدينة بومبي مائة وخمسة وسبعين كيلومتراً.

ومدينة ناسك هذه هي عاصمة ناحية تسمى بهذا الاسم أيضاً (ناسك) ومن أبرز الأشياء التي تلفت النظر في الشارع الرئيسي الذي سلكناه فيها أكواخ من الخيش والخشب، بل ان بعضها من القش، وطائفة من سكنة الشوارع في مظلات من القش. وليس معنى ذلك أن المدينة تتألف في أغلب منازلها من هذه فهي تحتوي على بيوت جيدة من الأسمنت، ولكن المراد أن هذه الأكواخ السيئة هي موجودة

فيها بالفعل، وفي الشارع العام الذي تمر منه السيارات المتجهة إلى عدة مدن مهمة منها (أكرا) ودلهي.

وقد أردت ان أنزل من السيارة وأصور هذه المناظر بنفسي غير أن صديقنا الشيخ مختار أخبرنا أن ذلك غير مناسب لأن الشارع مزدحم والمدينة هندوكية وأنتم غرباء لايستسيغون أن تصوروا أسوأ مافي بلدتهم، كما أن وجودكم قد يلفت نظر الشرطة فيتابعونكم وقد يؤاخذوننا على كوننا لم نبلغهم بسفركم هذا معنا.

نهر مقدس

الأنهار المقدسة في الهند كثيرة ربما كان أشهرها نهر الكنج أو (قانقا) كما يسمونه ويؤنثونه فيقولون في أقوالهم المشهورة- قانقا مايا- أي قانقا أمنا ».

ولذلك يحرقون عندها موتاهم، ويذرون رماد جثثهم فيها وحتى في الحياة يغتسلون فيها يزعمون أنها تطهرهم وهم لايزعمون هذا التطهير لمياه الآبار أو الينابيع أو حتى مياه الأنهار غير المقدسة أي أن التطهير ليس من الماء الطهور، وإنما هو لكونه أي الكنج نهراً مقدساً ولم يفكروا في أن هذه الأنهار المقدسة تغضب عليهم في بعض الأحيان- على حد تعبير الشعراء- فتفيض مياهها وبخاصة مياه نهر جمنى الذي يمر بمدينة دلهي فيغرق المزارع وقد يدمر جزءاً من البلاد ويغرق بعض العباد، بل يقطع أرزاق بعضهم التي أملوها من محاصيل زراعتهم ومع ذلك تظل تلك الأنهار مقدسة، بل كالأرباب التي تعبد من دون الله مثلها في ذلك مثل البقرة والقرد.

قصة عبادتهم للقرد (هانومان)

وقصة عبادتهم للقرد (هانومان) لها شبه أو علاقة بما هو مذكور هنا عن إلههم الأكبر (رام) وخصمه الآله الثاني عند أهل الجنوب الهندي (راون) فيقولون إن (راون) خطف سيتا زوجة رام وذهب بها إلى جزيرة سيلان، فلم يدر رام كيف ينقذ زوجته، وربما يكون قد أيس من ذلك، وإذا بالقرد (هانومان) تحركه الغيرة على هذا الإله المضطهد - على الأقل في هذه المسألة - فيحمل شعلة من النار في ذنبه ويعبر البحر الذي يفصل جزيرة سيلان عن الهند وينقذ (سيتا) من (راون) بعد أن أحرق مكانه هناك في سيلان.

لذلك عبده الهنادك ولايزالون وقد رأيت بنفسي كيف احتفلت حكومة (اترابراديش) أي الولاية الشمالية كبرى الولايات الهندية في عدد السكان وكان سكانها في الوقت الذي زرتها فيه يصل إلى تسعين مليوناً من النفوس، واليوم يزيد عن ذلك، فقد احتفلت بما اسمته (هانومان داي) أي يوم هانومان وبالترجمة الفقهية (عيد هانومان) وفي ذلك اليوم عطلت الدوائر الرسمية أعمالها، وأغلقت المدارس والجامعات في الولاية وانصرف الناس وأكثرهم إلى عبادة (هانومان) حتى شاهدت الناس أفواجاً على معبده الذي يضم تماثيله في (لكهنو)، عاصمة الولاية.

وقد رأيت المتقربين إليه في ذلك اليوم، وهم يزحفون على صدورهم إلى قبره عبر الشوارع والأرصفة ونشرت الصحف في الولاية عملهم، وقد ذكرته في الرحلات في شمال الهند.

واليوم مررت بنهر صغير في ضواحي مدينة (ناسك) هذه، فعلمت أنه مقدس عند الهنادك، لأنهم يقولون: إن (رام) عند اختفائه من عدوه (راون) كان يجلس عند هذا النهر، كما أن النهر

يدخل الغابة التي كان قد دخلها (رام) والنهر يجري إليها بطبيعة مجراه .

وذكروا لنا أنهم يصنعون عنده قبيل شروق الشمس مارأيتهم يصنعونه في نهر الكنج وهو أن يسجدوا للشمس عند طلوعها وهم في هذا النهر المقدس بزعمهم .

وعند هذا النهر في الضاحية بنوا معبداً هندوكياً أحمر الطلاء، عظيم الشأن في عقيدتهم حتى انهم يأتون إليه في المناسبات الدينية من مسافات بعيدة للتقرب إلى رام أو للالتقاء بأولئك البراهمة– صوفية الهنادكة – الذين يخرجون في وقت معين في السنة من الغابات إلى الجبال فيجدون الطوائف من الناس من رجال ونساء ينتظرون خروجهم ليتبركوا بهم، أو ليأخذوا العبرة من زهدهم في الدنيا، واطراحهم لها .

يشرب بوله كل يوم

ذكروا لنا من أسماء الشخصيات الهندية التي عرفت بزيارة هذا المعبد (مورارجي ديساي) رئيس وزراء الهند السابق، وهو هندوكي مشهور بتعصبه للهندوكية، ومن الأدلة الواضحة على ذلك أنه كان يواظب على شرب بوله كل صباح لسنوات طويلة . وكان يجاهر بذلك ولايستخفي وقد نشرت الصحف ووسائل الإعلام الغربية ذلك عنه .

ونسبوا إليه أنه قال ربما كان السر في طول عمره هو مواظبته على شرب بوله كل صباح .

وذكر لي الإخوة المسلمون في مكان آخر من الهند أن بعض المتعصبين من الهنادكة برروا فعل مورارجي ديساي هذا بأن البول هو

خلاصة الأغذية التي تدخل الجسم. لذلك يفيد شربه، ولم يعرفوا أو عرفوا وتجاهلوا أن البول هو النفايات التي يطرحها الجسم في الخارج وفيها الفضلات الزائدة التي تخلفها الأغذية.

مصانع الطائرات

شاهدنا في مكان غير بعيد في مدينة (ناسك) على يسار الطريق مصانع الطائرات الضخمة التي اهتم القوم فأداروا حولها أسواراً حصينة. وترى المصانع داخل أفنية أي أحواش واسعة مكشوفة.

وقد أقاموا هذه المصانع للطائرات بجانب مدينة (ناسك) من النسك الذي هو التدين وهي مدينة مقدسة عندهم، وغير بعيد من المعبد الهندوكي والنهر المقدس عندهم ربما تكون المنطقة كلها تكاد تكون هندوكية خالصة للهندوكيين أو ليوحوا بأن هذه المصانع للطائرات قصد منها أن تدافع الطائرات التي تخرج منها عن الهندوكيين، ولانقول عن الديانة الهندوكية، لأن الدولة الهندية لاتعلن أنها دولة هندوكية وإنما هي علمانية غير أن معظم رجالها أو كثيراً منهم يتمسكون بالديانة الهندوكية بل متعصبون لها مثل رئيس الوزراء السابق (مورارجي ديساي) الذي حكينا قصة شربه بوله كل يوم ولم نحك سبب شربه البول في الأصل، وهو نابع من الديانة الهندوكية التي تمقت التمتع باللذات، وتحث على إهانة النفس ورياضتها من أجل ألاّ تتغلب عليها نوازع الجسد، ولو باكراهها على أمور يصعب قبولها، وذلك مثل شرب البول، وأكل الأشياء المستكرهة.

ويدل على المعنى الحقيقي لوجود هذه الطائرات قرب هذه المدينة المقدسة عندهم والأماكن التي يعظمونها حولها ان معظم العاملين فيها من الهنود هم من الهندوكيين ففيها ألف وخمسمائة من الفنيين والمهندسين السوفييت، وفيها من الهنود اثناعشر ألف عامل ومهندس.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الحروب والنزاعات في الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧م نجد أن كل الحروب الرئيسية التي نشبت أو لنقل تسببت الهند في نشوبها مع شعب آخر هي ماكان بينها وبين باكستان وماعدا ذلك كان المناوشة مع الصين الشعبية التي لم تصل إلى الحرب الشاملة.

وكانت الهند تستعد الاستعداد الحربي فتفجر الذرة وتصنع الطائرة وتسعى لصنع الدبابة، بل إنها تشتري الطائرات المتطورة الحربية من الشرق ومن الغرب بأغلى الاثمان رغم فقر شعبها وكون طوائف كبيرة منه تجوع وقد تموت في بعض الأحيان من الجوع إذا تخلف المطر عن بعض الولايات ناهيك بمن يعيشون على هامش الحياة ولايجدون مايكفيهم من طعام فضلاً عن الدواء واللباس، ومع ذلك تسخو بهذه الأموال للحرب ثم تصنع الطائرات والأسلحة الفتاكة بمساعدة أطراف من أهل الشرق الشيوعي والغرب المعادي للشيوعية.

وإذا كان من العجيب في بادئ الرأي أن تقام مصانع الطائرات الحديثة بجانب مظاهر الوثنية القديمة فإن لذلك معنى عميقاً إذا تأمل المرء ماذكرناه في هذا الشأن فهمه.

وهناك أمر آخر ينبغي ذكره هنا وهو زعم بعض الزاعمين أن الدين الإسلامي ينافي التقدم، ويمنع من اكتساب القوة فهؤلاء

الهنادك الذين يدينون بدين موغل في الوثنية يكفي في الدليل على ذلك أن بعض اتباعه يعبدون أكثر من ألف إله. ولم يمنعهم ذلك من اكتساب القوة لهم بصناعة الطائرات هذه وبغيرها من الصناعات الثقيلة المعقدة. فما بالك بالدين الإسلامي الذي ينص صراحة فيما يتعلق بمثل هذه المصانع التي تكسب القوة والمنعة مثل مصانع الطائرات والدبابات والصواريخ على اتخاذها فإن الله تعالى يقول: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٠].

والقوة بطبيعة الحال تشمل هذه المصانع وغيرها مماهو معروف وماقد يعرف في المستقبل، ولذلك وردت لفظة (قوة) بطريقة التنكير لتعم جميع أنواع القوة.

ونعود لمعنى كون المصنع غير بعيد من المعبد فنسأل أنفسنا ومن خلال ذلك نسأل بني قومنا عن السبب في كوننا لم ننشئ المصانع الحديثة للطائرات والدبابات والصواريخ وغير ذلك من أسباب القوة بجانب المساجد، وليس المراد أن تكون ملاصقة لها ولكن المقصود أن تكون البلاد التي هي مصدر القوة الروحية فيها أيضاً أسباب القوة المادية ولو كانت بعيدة عن المساجد، حتى نؤدي الواجب المفروض علينا بالأخذ بأسباب القوة وبالتالي لانجعل أبناء المسلمين معرضين لفتك الأسلحة الفتاكة التي يصنعها اعداؤهم من اليهود والشيوعيين والهندوكيين وغيرهم.

وقد أقاموا على يمين الطريق مستوطنات ومساكن للخبراء الروس الذي يعملون في مصانع الطائرات هذه.

وصلنا إلى منطقة زراعية جيدة تشتهر فيما تشتهر به زراعة البصل ومنها يصدر إلى خارج الهند وقسم يرسل إلى أقطار الخليج

العربي وإلى المملكة العربية السعودية بالذات وقد رأيناه في أسواقنا.

وإلى جانب البصل تزرع المنطقة العنب الجيد.

بلدة هندوكية

ومررنا ببلدة اسمها (زراوي) أهلها من الهنادك الخلص ليس بينهم احد من المسلمين فطلبت أن نوقف السيارة فيها واشترينا منها عنباً بعشر روبيات للكيلو ويساوي ذلك نحو ثلاث ريالات. ولم استطع التصوير أيضاً، لأن القرية ليس فيها أحد من المسلمين ويخشى أن يوجس أهلها خيفة من التصوير، مع أن فيها أشياء تستحق التصوير غير مظهرها العام من ذلك أسرة قد ركبت بجميع أفرادها على عربة يجرها ثور وهم ستة ومعهم امتعتهم والثور يمشي الهوينا يتحدى عصر السرعة الذي نحن فيه الذي تمثله الطائرات التي لا يبعد مصنعها عن هذه البلدة كثيراً.

ومظاهر الفقر المدقع فيها، والفلاحات اللائي يثرن الشفقة من حالتهن العامة وملابسهن الرديئة والمسكنة الواضحة على وجوههن ومع ذلك يصنعون الطائرات قبل أن يرفعوا من مستوى هؤلاء وأمثالهم؛ ومنظر بعض الشحاذين الذي يحز في النفس.

ورغم المظهر الزراعي الجيد للريف هنا وكون المنطقة تصدر البصل بكثرة حتى إن مستودعات البصل الذي أعد للتصدير تقع على الطريق وتشاهد منه، والبصل بمقادير كبيرة جداً، فإن هذه المنطقة تعتمد الزراعة فيها على الآبار، ومع ذلك فإن الزراعة فيها منظمة جيدة المظهر.

بلدة محل القمر

وهذه ترجمة لاسم البلدة التي تقع على بعد ستة كيلومترات من البلدة الهندوكية الخالصة (زراوي) وإلا فاسمها (شان دور) فشان: قمر، ودور: محل، ويذكرنا هذا الاسم بأسماء بعض البلدان العربية التي تشابهها في المعنى مثل (دير القمر) في لبنان، وبلدة (شان دور) هذه كانت تعتبر بلدة إسلامية، إذ كانت مقراً لأمارة إسلامية إبان حكم المغول، وكانت تلك الامارة تحت حكم المغول الذي يعتبر حكماً للمسلمين.

وكان الهنادك يشاركونهم السكنى في البلدة، وإن لم يشاركوهم في حكمها؛ أما الآن فقد كاثروهم على سكناها، وحكمها إلاّ أنها لايزال فيها مسلمون.

وقبل الوصول إليها رأينا أبقاراً ترعى في ريف جيد في أشجار برية تشبه الأشجار الصحراوية أو أشجار الأراضي شبه الصحراوية، إلاّ أنها خضرة ريانة.

ثم مررنا بوادٍ فيه نهر شحيح المياه وبقربه مسجد صغير بجانب مصلى العيد.

ومع ذلك يوجد معبدان صغيران للهنادكة عن يمين المسجد ويساره.

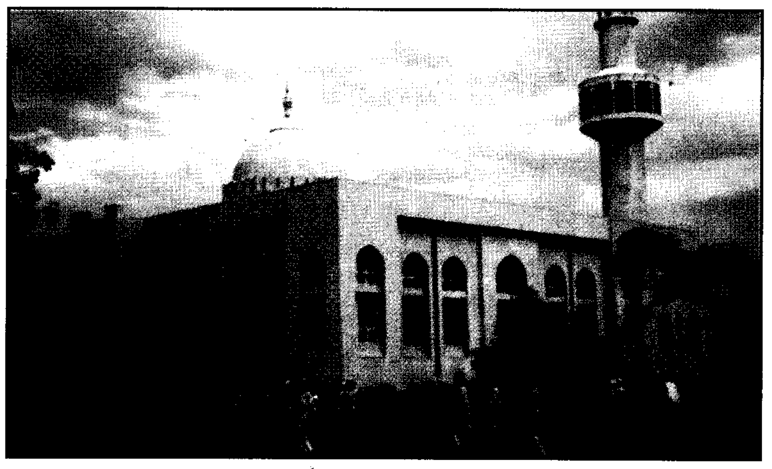
ثم مررنا ببوابة مغولية رمزية بمعنى أنها واقفة بدون معنى في الوقت الحاضر وبدون أن تكون متصلة بالعمارة، وقد تجنبها الطريق الأزفلتي.

وهي واقعة في وادٍ تحت أقدام جبال (شان دور) الذي سميت

البلدة باسمه، وفي أول هذه الجبال- آثار قديمة ومنها معبد هندوكي.

ثم وقع الطريق في ريف حسن المنظر، صافي الهواء لولا ماتثيره الشاحنات على الطريق من دخانها وهو في نقائه شبيه بالريف الصحراوي الجيد المعمور بالمزارع النضرة للفاكهة والبصل الذي رأيناه منثوراً على الأرض بمقادير كبيرة، هنا أيضاً وذلك ليجف تمهيداً لتصديره.

هذه هي الجامعة المحمدية



■ مسجد الجامعة المحمديّة ■

كنا نتطلع إلى الجامعة المحمدية وقد قاربنا الوصول إليها إذ قطعنا مأتين وخمسين كيلومتراً منذ أن فارقنا بومبي ولكننا مررنا بمنظر قابض للنفس، وهو قبر ولي كما اسموه قد بنوا فوقه بناء أبيض الطلاء، وعنده قوم جالسون بمثابة المتقربين إلى الله بالجلوس عنده أو بمثابة

السدنة الذين ينتظرون الصدقة ممن يقصد هذا القبر، ولم نتحقق من أمرهم لأننا نستنكر فعلهم في البناء علي القبور، وقصدها بالرجاء أو التعبد والتقرب، وحتى الصلاة عندها لله تعالى لأن ذلك كله مخالف لأوامر الرسول ﷺ؛ إذا بنا ونحن كذلك نلمح منارة المسجد الجامع في (الجامعة المحمدية) شامخة مع قبابها ترى على البعد كأنها الأصابع التي ترتفع إلى السماء بشهادة التوحيد (لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله).

فهذه الجامعة قامت على إخلاص العمل لله، وتنشئة الطلبة على العقيدة السلفية الخالصة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ومحاربة البدع في الدين.

وتقع في بلدة (مالي قاون) كما قدمت في ضاحية منها، لذلك لم ندخل البلدة مباشرة وإنما ذهبنا للجامعة المحمدية التي هي الهدف المقصود بزيارتنا لهذه المنطقة.

وكان الوصول إلى مقر الجامعة في الثانية عشرة ظهراً حسب ماكنا قررناه من قبل وهذا من توفيق الله تعالى الذي يسر لنا قطع هذه المسافة (٢٥٠) كيلومتراً في هذه الساعات المحدودة في بلاد الهند التي يصعب اسراع السيارات فيها.

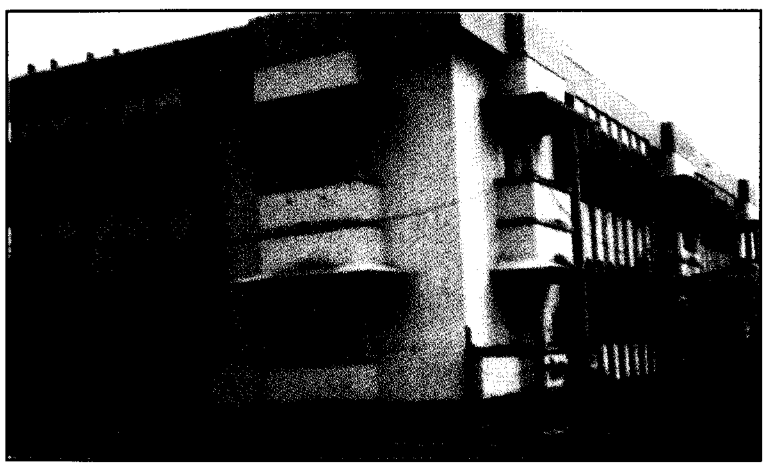
بعد استراحة قصيرة في غرفة من جناح من الغرف فيه أسرة ومنافع قال الشيخ مختار: إنه جزء من مباني الجامعة استأجرته ليكون محلاً لاستراحتي وأسرتي عندما ازور الجامعة واتفقدها. تجولنا في الجامعة المحمدية التي وجدناها أشبه ماتكون بقرية عصرية صغيرة، لكثرة منشآتها وحداثة أبنيتها ونظافتها حتى إنك لاتصدق وأنت تسير بين أبنيتها أنك في الهند وإنما يخيل إليك أنك في بلد غني ثري.

وذلك كله بفضل من الله تعالى ثم بنشاط الأخ الشيخ (مختار أحمد الندوي) الذي يعد من التجار الناجحين ولكن تجارته لم تشغله عن القيام على المشروعات الإسلامية النافعة وبخاصة منها المشروعات الثقافية الإسلامية ولذلك كان الاثرياء ومحبو الخير في البلدان العربية وبخاصة في الخليج يتبرعون للمشروعات المفيدة التي يقوم عليها.

وكان قد أسهم في إنشاء الجامعة السلفية في بنارس التي لاقت نجاحاً عظيماً وكتبت ماشاهدته من أمرها في كتاب الرحلة إلى الشمال الشرقي من الهند.

مستشفى بدر محمد الساير

كان أول مارأيناه من الجامعة ونحن نتجول فيها بناءً حديثاً رائعاً كتب عليه بالعربية (مستشفى بدر محمد الساير) وذلك اعترافاً للأخ بدر بكونه تبرع ببنائه وساعد على تجهيزه، وهو تابع لكلية الطب في الجامعة.



■ جانب من المستشفى العربي: كلية الطب في الجامعة المحمديّة ■

وذكروا لنا أن الحكومة الهندية اعترافاً منها بالمبنى والتجهيز الموجود في المستشفى تعطيهم الأدوية وتدفع رواتب الأطباء فيه وتساعد على تغذية المرضى كما ذكروا ان الدواء يصرف إلى المرضى بثمن رمزي هو ربع روبية للوصفة الواحدة، وذلك من أجل ألا يكثر المرضى طلب الدواء، وقد يرمونه أو يرميه بعضهم إذا كانوا يحصلون عليه بالمجان.

ويضم المستشفى ١٨٠ سريراً.

كلية الطب

ثم انتقلنا إلى مبنى كلية الطب وهو يواجه مبنى المستشفى ذكروا لنا ان عدد طلبتها يبلغ أربعمائة وعشرين طالباً. وان العدد المقرر الذي يلتحق بها من الطلبة هو ستون كل عام، وأن أول دفعة من هؤلاء الطلاب سوف يتخرجون فيها هذا العام.

وذكروا أن جامعة بونا الشهيرة تعترف بشهادات هذه الكلية ومن المقرر أن نائب رئيس جامعة بونا سيأتي بنفسه لتوزيع الشهادات على الطلاب المتخرجين.

وقد نوهوا بكون بناء هذه الكلية كان بنفقة سيدة عربية كريمة هي (آمنة بنت سيف الغرير) زوجة حاكم عجمان .

وفي كلية الطب عدد من الطالبات تبلغ نسبتهن ١٠٪ من نسبة الطلبة وشاهدنا بعضهن متسترات ولا نقول متحجبات، لأنه يرى من أجسامهن الوجه والكفان.

والفينا قاعات المحاضرات في الكلية جيدة ومؤثثة تأثيثاً حسناً، وجميع الأجهزة فيها تظهر عليها الصيانة وعدم البخل بالانفاق.

شعبة العلوم والطبيعة

دخلنا غرفة واسعة كتب عليها اسمها بالعربية التي هي لغة الدراسة بالجامعة المحمدية كلها ماعدا موضوعات معينة وجميع اللافتات مكتوبة بها وبالأوردوية.

وفي هذه الغرفة صور مشاهير الأطباء من القدماء والمحدثين، وأنواع من الأدوية الجديدة وضعت فيها من أجل دراستها.

ومدة الدراسة ٧ سنوات منها سنتان تمهيديتان وخمس دراسية. ثم :

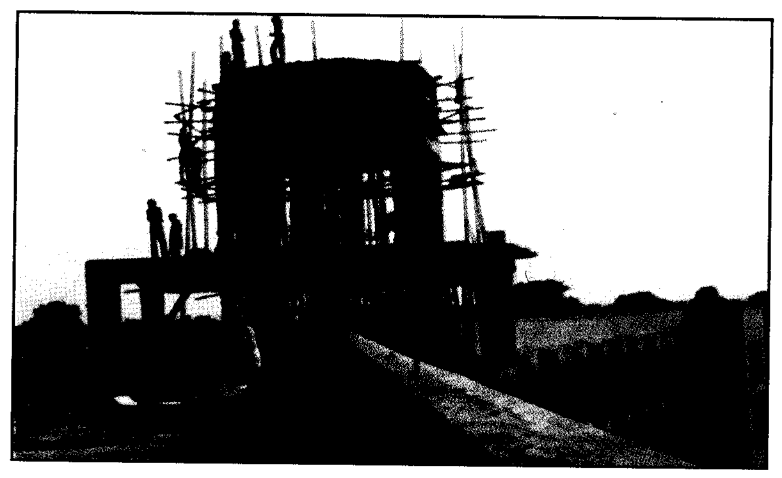
شعبة الحيوانات (زولوجي)

هكذا كتبوا لافتة الغرفة. ووضعوا في الغرفة أشياء تساعد على الدراسة منها جثة جنين في قدر كف الإنسان موضوعة في محلول خاص من أجل دراستها.

إلى جانب حيوانات أخرى للدراسة ومنها الضب الهندي الذي أشرت إليه في مبدأ هذه الرحلة من بومبي، وذكرت أن بعض أطبائهم يصفونه علاجاً لبعض الأمراض أو من أجل تقوية الإنسان على بعضها.

ومما يذكر أن هذه الكلية الطبية هي قائمة على الطب الهندي الذي يعتمد على مانسميه في بلادنا بالطب العربي ويسمونه في الهند – في الأغلب – بالطب اليوناني إلا أنها تطوره وتستفيد من الآلات والأدوات العصرية في تحليل الأدوية وفي الفحص والتشخيص. وتعترف الحكومة الهندية بهذا الطب، وتوظف المتخرجين في مجالات متعددة في الحكومة والمؤسسات العامة كما أخبرونا.

ثم مررنا بقسم الكيمياء وذكروا لنا أنه من أحسن الأقسام الهندية تجهيزاً. وهذا كله في الطابق الأول ثم صعدنا إلى الطابق الثاني من مبنى الكلية فأشرفنا من شرفة فيه على مبنى المستشفى وعلى جزء من ضواحي مدينة (مالي قاون) وهي ضواحي جيدة، منسقة الزراعة بعيدة عن البحر ووخمه، معتدلة الهواء، في هذا الفصل من السنة.



■ برج الجامعة المحمديَّة كما يرى من السطح ■

وأكثر الحقول التي ترى من مبنى الكلية المرتفع قصب السكر والخضروات وذلك حول نهر (غرنا) الواسع المجرى الذي هو إلى سعة مجراه جاف الآن بسبب انقطاع الأمطار عن المنطقة منذ حين. ورأينا فلاحات مهراتيات قد لبسن اللباس التقليدي عندهن وهو الفوطة التي تشد على الوسط شداً يوصف منه حجم الجسم، ويرتفع فوق الركبة مما يورث التقزز.

منافع الأعضاء

وكان أول قسم دخلناه في هذا الطابق فد كتبت عليه لافتة بالعربية والأوردية (منافع الأعضاء) وذكروا ان الأساتذة يلقون فيه على الطلاب محاضرات في هذا العلم أي علم وظائف الأعضاء في بدن الإنسان وقد كتبوا على الحائط الآية الكريمة بخط جميل: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: ٤].. ثم رسموا أعضاء الإنسان كاملة، وفي هذا القسم مجهر حديث.

ثم انتقلنا إلى قاعة كبيرة هي الخاصة بعلم التشريح وتشتمل على أنواع متعددة من الجماجم البشرية مابين قديمة وحديثة، وجثث آدمية كاملة قد وضعوها في صناديق معها بعض المحاليل التي تحفظها من التحلل ذكروا أنهم يشترون الجثة الواحدة الكاملة منها بثلاثة آلاف روبية هندية أي حوالي مائة وثمانين دولاراً أمريكياً.

ورأينا بعض الطلبة يدرسون إحدى الجماجم ويراجعون كتاباً باللغة الإنكليزية.

وقد كتبوا على حائط هذه الغرفة باللغة العربية: (العلم علمان علم الأديان، وعلم الأبدان).

علم الأدوية

ثم كان الانتقال إِلى شعبة علم الأدوية وقد كتبوا على حائط الغرفة المخصصة له : «**مامن داءٍ إلاَّ وله دواء علمه من علمه وجهله من جهله**» . . والأثر الآخر : «**لكل داءٍ دواءٍ إلاَّ الموت**» . .

ومن شعبة علم الأدوية إِلى مركز تحليل الدم والبلغم وغرفة صنع الدواء اليوناني، وصيدلية للأدوية العربية .

وذكروا أنه ليس في هذه الصيدلية من الأدوية الكيماوية إِلاَّ ٥٪ ويشترونها جاهزة للاستعمال وباقي الأدوية يجهزونها بأنفسهم في هذه الكلية. وقد رأينا طائفة من العمال يدقون الأدوية القديمة المعروفة من الأعشاب والحبوب ويخلطونها .

ثم سرر المرضى وأغلب المرضى من المسلمبن ولكن فيهم نسبة من غير المسلمين يأتون للعلاج فيتلقونه كما يتلقاه المسلمون وذلك لعدم وجود مستشفيات قريبة أو لازدحامها ويقول الأخوة هنا: إِن هذا إِضافة إِلى كونه شرطاً وضعته الحكومة لمساعدتنا على استمرار أعمالنا بأن نقبل أي محتاج من المواطنين إِلى العلاج عندنا فإِننا نعتبره فرصة للدعوة إِلى الله، فنحن نوظف أيضاً غير المسلمين في بعض المجالات مثل التمريض وتبلغ نسبة غير المسلمين في موظفي الكلية والمستشفى ٢٠٪ .

قالوا : وهذا إِسهام جيد من الجامعة في توفير أعمال نافعة لعدد من الأيدي العاملة من المواطنين سواء في ذلك المسلمون وغير المسلمين.

وكان مسك الختام في هذا المقام زيارة غرفة العمليات التي أمرونا بخلع أحذيتنا عند الدخول إِليها ولم نصادف إِجراء أية عملية فيها .

الاحتفال في الجامع

ثم انتقلنا إلى المسجد الجامع وهو كبير حديث البناء ذو منارة شاهقة، وقبة عربية جميلة فوجدناهم قد جمعوا المدرسين والطلاب من أقسام الجامعة في شرفة من شرف المسجد الواسعة ونصبوا فيها مكبرات الصوت.

فبدأوا الحفل بتلاوة قرآنية مجودة متقنة بل ممتازة في إتقانها تلاها أحد المدرسين.

ثم أنشدت مجموعة من الطلاب نشيد الجامعة المحمدية ألقوه بالأوردية.

ثم ألقى الأمين العام الاداري للجامعة المحمدية الشيخ أنيس الرحمن الأعظمي كلمة ترحيب بالعربية وكان من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتخرج فيها عندما كنت أميناً عاماً لتلك الجامعة.

وألقى الأضواء في كلمته على هذه الجامعة المحمدية والغرض من إنشائها وماقطعته حتى الآن من السير إلى أهدافها النبيلة.

وهذا نص كلمته:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد،

حضرات السادة ضيوفنا الكرام،

إنني أصالة عن نفسي ونيابة عن مسؤولي الجامعة وأساتذتها وطلبتها أرحب بكم بكل سرور وفرح في أرض الجامعة المحمدية فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم وإننا لسعيدون بزيارتكم الكريمة ونشكركم شكراً

جزيلاً على هذه الزيارة، جزاكم الله خير الجزاء وتقبل جهودكم ومساعيكم الطيبة في سبيله،

ضيوفنا الأجلة،

إن يومنا هذا يوم عظيم ومناسبتنا هذه من المناسبات التاريخية لهذه الجامعة فقد شرفتمونا بزيارتكم الكريمة للجامعة،

ضيوفنا الأعزاء،

انتهازاً لفرصة زيارتكم الكريمة أرى من المناسب ان اقدم إليكم سطوراً عما تقوم به الجامعة وعما تعتزم في المستقبل.

انشئت هذه الجامعة أول مايو عام ١٩٧٨هـ قرب المدينة الصناعية ماليقاون وعلى غرب نهر غرنا في احتفال عظيم حضر فيه العلماء والشخصيات البارزة في الهند وفي العالم الإسلامي، كما حضرتم أنتم أيضاً في مناسبة التأسيس مندوباً من إدارات البحوث العلمية.

وانشئت هذه الجامعة نتيجة دراسة طويلة وتقرير من أهل العلم ورجال الدين بضرورة إنشاء جامعة إسلامية تهتم بنشر العقيدة الصحيحة ونشر التعاليم الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة لأنه لم تكن في هذه الولاية وماجاورها من الولايات جامعة تفي بالغرض المذكور، فوفق الله تعالى فضيلة الشيخ الجليل مختار أحمد الندوي المحترم حفظه الله للقيام بهذه المهمة العظيمة، وماهي إلا أعوام فقد استطاعت هذه الجامعة بفضل الله تعالى ثم بفضل المخلصين من أمثالكم، استطاعت أن تفتح قسم الشريعة إلى مستوى الكلية للبنين والبنات وكما استطاعت إنشاء كلية الطب العربي أيضاً ونحمد الله تعالى أن هذه الأقسام كلها تواصل جهدها وطاقتها لبناء مستقبل

أفضل، وتعد هذه الكليات مثالية وقد ساعد الشيخ الندوي حفظه الله تعالى في مهمة إنشاء الجامعة كثير من أهل البلد وخاصة المرحوم محمد خليل، رحمه الله رحمة واسعة.

ولاشك أن فترة البناء والتعمير لايلائم الجو الماضي للتعليم والدراسة ولكن نظراً إلى الظروف والأحوال فقد اضطررنا أن نبدأ العملين معاً وقد كان فضل الله علينا عظيماً حيث وفقنا وسهل لنا الأمور، وتعمل في الجامعة في الوقت الحاضر أقسام متعددة فمنها:

كلية الشريعة للبنين والبنات ويدرس فيها زهاء أربعمائة طالب ومائتي طالبة.

كلية الطب العربي ومستشفى بدر محمد الساير ويدرس فيها أكثر من أربعمائة طالب.

إدارة البحث العلمي والافتاء والدعوة والإرشاد تقوم بنشر مجلة بالاردي باسم صوت الحق كما تقوم الادارة بالإجابة على الأسئلة الدينية وإرسال المدرسين إلى القرى المجاورة للدعوة والإرشاد.

قسم تحفيظ القرآن الكريم ويدرس فيه أكثر من خمسين طالباً.

قسم توزيع الكتب يقوم بتوزيع الكتب الإسلامية بين المسلمين مجاناً التي تفيدهم في الفهم لتعاليم الإسلام وإننا نحمد الله تعالى أن الجامعة كانت موفقة في توطيد علاقاتها مع الادارات والجامعات في الدول العربية وخاصة المملكة العربية السعودية مثل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وإدارات البحوث والرابطة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والرئاسة العامة لتعليم البنات وغيرها من الإدارات ووجدنا منهم مساعدات قيمة في مجال التعليم،

وكذلك لا ننسى الأيادي الغراء لأخواننا الكويتيين الذين

ساعدوا ولايزالون يساعدون الجامعة بأنواع المساعدات، جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

أما بالنسبة لمشاريع المستقبل فتعتزم الجامعة فتح قسم التخصص في الجامعة وكذلك قسم تدريب المعلمين والأئمة والدعاة وبناء مباني خاصة للأقسام المذكورة.

إنشاء قسم لتعليم البنات الحاصلات على شهادة الثانوية من المدارس العصرية اللاتي يردن التزود بالتعاليم الإسلامية في مدة وجيزة وبناء مبنى خاص لهن، للسكن والدراسة.

كما أن الجامعة تريد توسعة برامج الدعوة والإرشاد إلى القرى البعيدة على مسافة مائة كيلو وأكثر وذلك بعد أن نشترى سيارة تساعدنا في أداء هذه الوظيفة.

ولا أريد أن أطيل عليكم فإن الوقت قصير وأن مدير الجامعة حفظه الله يكفينا بشرح الأمور إن شاء الله، وختاماً مرة أخرى أشكركم شكراً جزيلاً على زيارتكم الكريمة للجامعة وأرجو أن تتكرر هذه الزيارات والله سبحانه وتعالى أسأل أن يديم عليكم نعمة العافية ويكتب لكم الصحة والشفاء في الحل والترحال وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

وبعد ذلك تقدم أحد الطلبة فألقى كلمة مرتجلة بلغة عربية فصيحة يحسده على إجادة إلقائها أكثر العرب الأقحاح، لأنه إن كان قد ارتجلها كلها بالفعل، ولم يكن قد أعدها من قبل، فإن هذا عجيب، وإن لم يكن أعدها وإنما حفظها على طولها فذلك أعجب.
وهي ذات موضوع محدد هو (القرآن الكريم وتدبره).

ثم ألقيت كلمة مطولة مرتجلة حسب رغبة الشيخ مختار والأخ

أنيس الرحمن تضمنت التعريف بالغرض من حضوري إلى هذه البلاد الهندية وزيارة الجامعة المحمدية هذه في مكانها البعيد عن مدينة بومبي وأنه لو كان أبعد من هذا ولم تكن هناك وسائل الركوب إلا الدواب أو السير على الأقدام لكان الحضور إلى هذه الجامعة أمراً مستحباً لي، بل واجباً عليَّ، كيف لا وقد رأيت فيها ماتقر به أعين المؤمنين المخلصين.

ثم ذكرت لهم فضل علماء أهل الهند من سلف المسلمين على العلوم الإسلامية وكيف كانوا هم السباقين إلى الاشتغال بعلم الحديث والأثر عندما تقاعس عنه أكثر العلماء في البلدان العربية، وكيف كان إخواننا العلماء من أهل الهند أول من نشروا كتب الحديث ورجاله وامهات السنن والمعاجم فيه.

وشرحت لهم حاجة المسلمين في هذا العصر إلى تصحيح مفهوم العقيدة عند بعضهم وان الأولى بهم الرجوع إلى المنابع الأولى للعقيدة من الكتاب والسنة الصحيحة وماعليه السلف الصالح ثم أوضحت أن هذا العصر الذي نعيشه الآن يصح أن يسمى (عصر الصحوة الإسلامية) لأنك أينما توجهت إلى أي مكان قصي في العالم نفاجأ بوجود مساجد جديدة لم تكن موجودة، وبإنشاء جمعيات إسلامية أنشئت حديثاً أو بكتب إسلامية تطبع في بلاد لم تكن تجد فيها كتاباً إسلامياً من قبل، بل إن بعض البلدان دخلها الإسلام منذ مدة يسيرة كمملكة تونقا في جنوب المحيط الهاديء الشرقي وجزيرة ساموا غير البعيدة منها. وبلدان ازدهرت فيها الدعوة الإسلامية رغم بعدها الشديد عن حواضر العالم الإسلامي مثل غيانا وترينداد في أقصى الشمال الشرقي من القارة الأمريكية الجنوبية والبحر الكاريبي و(جزر

فيجي) في جنوب المحيط الهادىء إلى جانب بلاد ازدهرت فيها الإنشاءات والأعمال الإسلامية حديثاً مثل القارة الأسترالية والجمهورية البرازيلية في أمريكا الجنوبية .

وطلبت منهم أن يعدوا أنفسهم لإرشاد المسلمين وتوجيههم في أي مكان على وجه الأرض يتاح لهم أن يصلوه أو يبتعثوا إليه .

في أقسام الطالبات

ودعنا الأخوة الكرام والأبناء النجباء ممن اجتمعوا. في رواق الجامع وتوجهنا مع مضيفنا الشيخ الكريم مختار أحمد الندوي وصحبه إلى قاعة خاصة في مطعم الجامعة حيث تناولنا الغداء طعاماً هندياً لذيذاً خالياً أو يكاد يكون خالياً من الفلفل الحار ومتخففا من الدسم الثقيل وذلك لعلمهم أننا نحن العرب لانرغب في وضع الفلفل في الطعام .

وبعد ذلك انتقلنا إلى مشاهدة أقسام الطالبات في الجامعة وهن كثيرات في المراحل الثانوية ومادونها بخلاف كلية الطب مثلاً .

فكانت الجولة أول الأمر في مساكن الطالبات التي كانت خالية منهن، لأنهم كانوا قد جمعوهن في قاعة خاصة سيأتي الكلام عليها فيما بعد، فرأينا مهاجع نظيفة ومساكن أسست لهذا الغرض أي لغرض أن تكون للطالبات لذلك لم تكن فيها نوافذ مفتوحة إلى خارج المبنى وإنما فيها نوافذ غير معتادة مرفوعة جداً، وأما النوافذ المعتادة فإنها مثل الأبواب مفتوحة إلى فناء داخلي عليه باب يغلق ولايدخل إلا بإذن المسؤولين وعلمهم .

ثم انتقلنا إلى حيث جمعوا الطالبات وفيهن الصغيرات

والكبيرات ولكنهم رتبوا الأمر بحيث لا نرى الكبيرات ولا يريننا وإن كنا نسمعهن ويسمعن مانقول.

وذلك بأن جعلوا الطالبات كلهن في قاعة اجتماع كبيرة لها رواق من الخارج فجعلوا الصغيرات في المكان الذي يقابل الباب والكبيرات يميناً ويساراً، أما نحن فإن مكاننا في ذلك الرواق خارج الغرفة ولانرى إلا من يكن تلقاء الباب من الداخل وهن الصغيرات. فابتدأت احداهن واسمها (شاهدة نجيب الله) بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلاوة جيدة. ثم أنشدت مجموعة من الطالبات نشيد الجامعة باللغة الأوردية من مكبر الصوت داخل الغرفة نسمعهن ولانراهن.

ثم ألقت طالبة لانراها أيضاً وإنما نسمع كلامها وهي (صادقة مختار أحمد الندوي) كلمة بالعربية تضمنت التعريف بالجامعة ودور الفتاة المسلمة في تلقي العلم ثم دور المرأة المسلمة في تربية النشء.

وقامت طالبة أخرى تكلمت بالعربية كلمة تحية قصيرة ونحن لانراها أيضاً وقال الشيخ مختار: اسمها (صدِّيقة) وهي شقيقة صادقة بل هي توأم لها يريد أنهما ابنتاه وكلتاهما تكلمت بعربية فصيحة، لا لكنة فيها ولا أثر للعجمة في نطقها بحيث لايشك من يسمعها أنها من بنات العرب.

وقد تكلمت بكلمة قصيرة موجهة إلى بناتنا الطالبات تتضمن النصيحة بتقوى الله تعالى ومراقبته والاجتهاد في طلب العلم قبل الانشغال بالبيت والأولاد.

فصول الدراسة

وتقع في مبنى طويل حديث واسع لايصدق من يراه أنه داخل مؤسسة خاصة قامت على تبرعات المتبرعين لأن الغرف واسعة جداً،

ومستكملة للشروط الصحية من حيث توفر التهوية إلى جانب استكمال الأثاث المدرسي.

ورأينا من الكتب المقررة على هؤلاء البنات صحيح البخاري ومشكاة المصابيح وهما من المراجع الكبيرة المهمة كما هو معروف وانطلقنا بين هذه الفصول المريحة السارة مع ممر واسع جداً إلى مصلى مخصص للبنات ومكتبة مجهزة تجهيزاً حسناً وعامرة بالكتب العربية والأوردية.

مبنى الإدارة العامة

وانتقلنا بعد ذلك إلى مبنى الإدارة العامة للجامعة الذي لايزال العمل يجري فيه وهو من طابقين مرتفعين ويبنون الآن في الطابق الثاني على طراز عربي جميل مثل سائر أبنية الجامعة.

وكان مما لفت نظري أن أكثر العمال فيه هن من النساء المهراتيات وهن شابات لابأس بمظهرهن رغم سمرتهن وقد لفت نظري ذلك لما في ذهني من قول ابن بطوطة في الجواري المهراتيات كما قال عنهن، وذلك أنهن كن يبعن كالجواري في ذلك الوقت لكونهن من الكافرات، ولاتزال أغلبية المهراتيين في الوقت الحاضر من غير المسلمين.

وهؤلاء النساء يحملن الحصا الذي يخلط بالأسمنت ويحملن الأسمنت المخلوط ويصعدن به إلى الطابق الثاني مع سلم خشبي صناعي ويلاقين من ذلك صعوبة ولكن لا أحد يرحمهن. وقد أخبرني الأخوة هنا أن مقاول التنفيذ هو الذي أتى بهن للعمل والسبب في ذلك أن الواحدة منهن تقتنع بنصف مايأخذه الرجل من الأجر

اليومي، وربما تعمل بإخلاص أكثر منه، وإن كانت لاتصل إلى مايصل إليه من القوة.

فمثلاً لايزيد أجر الواحدة منهن على عشر روبيات في اليوم، ويساوي هذا أقل قليلاً من ثلاثة ريالات سعودية.

ولاحظت هنا أن معظم العاملات لسن من الريفيات القشفات اللائي يلبسن الفوط المشدودة على الوسط، وإنما يظهر عليهن أنهن من أهل الحضر لأنهن ذوات مظهر حسن ومع ذلك يعملن في هذا العمل الشاق.

وذكروا لنا أن بعضهن متزوجات وبعضهن لسن في غاية الفقر ولكنهن يرغبن في العمل.



■ عاملة مهراتية تحمل الحصا في سطح مبنى الجامعة ■

مع المدرسين

استعرضنا بقية الأبنية الجيدة الحديثة في الجامعة ومن ذلك مبنى المدرسة الابتدائية للبنات وقد فعلوا فعلاً حسناً وذلك بأن كتبوا اسم

المتبرع بالمبنى على واجهته كما فعلوا في مستشفى (بدر محمد) الذي سبق ذكره.

وكان صديقنا ورفيقنا في الرحلة المهندس (طارق العيسى) ممن ساعدوهم على جمع التبرعات والتعريف بهم عند أهل الخير جزاه الله خيراً، وقد سر مثلي بما شاهدناه في هذا الصباح.

وكان مسك الختام اجتماعاً بالأخوة من مدرسي الجامعة وعددهم أربعة وعشرون مدرساً وكلهم من أهل الهند.

وقد تكلمت فيهم حول عملهم النبيل في تنشئة ناشئة المسلمين في بلاد الأقلية المسلمة في الهند وطلبوا مني أن أتحدث إليهم عن المسلمين في أنحاء العالم لأن بعضهم كان قد قرأ بعض ماكتبته من كتب في الرحلات بيان أحوال المسلمين. وكنت أحضرت معي بعض النسخ فوزعت عليهم شيئاً منها وانقضى معهم وقت طيب كنا نود أن يطول لولا أن الأخوة كانوا قد أخبرونا أنه ينبغي الا نتأخر في العودة.

مغادرة مالي قاون

يحسن بنا قبل أن نغادرها أن نذكر معنى اسمها وهو بلدة النسيج فمالي: نسيج وقاون: بلدة غادرناها في الخامسة من بعد العصر ومررنا بالبلدة التي كنا في ضواحيها حيث الجامعة المحمدية التي اختارت لها أرضاً واسعة بنت في أركانها أبنيتها المتعددة وبينها الميادين الفسيحة والشوارع المنظمة، وبقيت من الأرض بقية لايزالون يزرعونها ويستفيدون من ريعها.

وقد أعجبتني المقارنة بين مظهر المسجد الجامع ومايقربه من مباني الجامعة المحمدية ذات المظهر العربي الحديث الجميل وبين مباني

البلدة القديمة وذلك حين وجدت أن المسجد ومباني الجامعة هو أحسن مظهراً، وأجمل منظراً وهي تدل على مايتمتع به المسلمون هنا من رقي وذوق رفيع.

وحدثني الشيخ مختار أن حاكم المدينة قال: لقد رفعتم بأبنيتكم هذه مستوى بلدتنا، ولذلك نحن نؤيدكم، وسوف نبذل جهدنا في أن تستطيعوا أن تزيدوا فيها أمثالها. وأهل البلدة هم من المهراتيين الذين هم نوع من الهنود اضيفت الولاية إليهم فقيل لها (مهارسترا) كما سبق.

وقد رأينا عند الرجوع من حوادث السيارات الكبيرة في الطريق وهو نفسه الذي جئنا منه عدداً أكبر مما رأيناه في المجيء إلى (مالي قاون) مما يدل على أنها وقعت هذا اليوم واحصيتها فبلغ ما أحصيته ورأيته ست حوادث واحدة منها اصطدام شاحنتين ضخمتين، والثانية اصطدام شاحنة ضخمة بشجرة كبيرة من أشجار الطريق.

وظهر تلوث الطريق بدخان الشاحنات في هذا المساء أكثر مماهو في الصباح حتى كدنا نختنق في إحدى المرات إذْ السيارة غير مكيفة والجو في الخارج جيد فكنا نفتح نوافذ السيارة ابتغاء للتهوية فيدخل علينا الدخان الكثيف يكاد يخمد الأنفاس فنضطر إلى اغلاق الزجاج ونحن ثلاثة مع السائق داخل السيارة.

مطعم المسلمين

بعد أن قطعنا نصف الطريق بين مالي قاون وبومبي ويبلغ طوله (٢٥٠) كيلومتراً كانت الشمس قد غابت فمررنا بمطعم للمسلمين

في الطريق أهله من كيرالا في الجنوب وهو مطعم ومقهاة وبقالة.

فأدخلونا إلى مكان صغير أعدوه للصلاة وتوضأنا من مكان للوضوء غير نظيف والمطعم كله ليس على المستوى المطلوب للنظافة.

ولم تستسغ نفسي تناول أي شيء فيه بسبب عدم الاطمئنان لنظافته.

ثم استأنفنا السير إلى بومبي، ولم نشعر بطول المسافة في الليل عكس المعتاد وذلك بسبب الحديث المفيد الذي كان يجري طول الرحلة مع الشيخ مختار والمهندس طارق العيسى حتى وصلنا ضواحي مدينة بومبي فتكاثفت السيارات، وتكاثف معها الدخان ومعه الغبار الذي كان بسبب تزاحم السيارات وسير بعضها مع حواشي الطريق المليئة بالتراب وتظافرت المناظر غير المريحة ورائحة المجاري العفنة لتبعد الراحة عنا وبخاصة عندما مررنا بحي الدباغين.

يوم الأحد ١٤٠٧/٥/١١هـ

قبل مغادرة بومبي

في الثانية عشرة ظهراً دفعت لفندق سنشور أجره (٦١) دولاراً لليلة الواحدة وذلك بالدولار الأمريكي رغم كوني استطيع أن أدفع بالعملة الهندية دون أن يطالبوني بالأوراق الرسمية للصرف لأن جوازي السياسي أعفاني من ذلك كله.

غير أن الشيخ مختار السلفي قال أخشى أن يظنوا أنك صرفت خارج البنك مع العلم بأن الدولار الأمريكي يصرف في المصرف باثنتي عشرة روبية ونصف وبالسعر الحر أو مايسمى بالسوق السوداء بخمس عشرة روبية.

وذهبنا مع الشيخ مختار إلى بيته في بومبي لتناول طعام الغداء والاستراحة فيه قليلاً قبل الخروج إلى المطار ويقع بيته في حي (باندرا) وهو جيد العمارة، إلاَّ أن أزقته ضيقة وأهم مافيه بعده عن الشوارع الرئيسية فتجد البيوت فيه بعيدة من التلوث الموجود في الشوارع العامة وضوضاء السيارات التي تسرف في إطلاق أبواقها مما يزعج المار معها.

ثم خرجت مع الشيخ مختار على سيارة جديدة يابانية الصنع استطاع أن يشتريها بعد أن أثبت للحكومة أنه صدر منتوجات هندية وحصل على ثمنها بالعملات الصعبة.

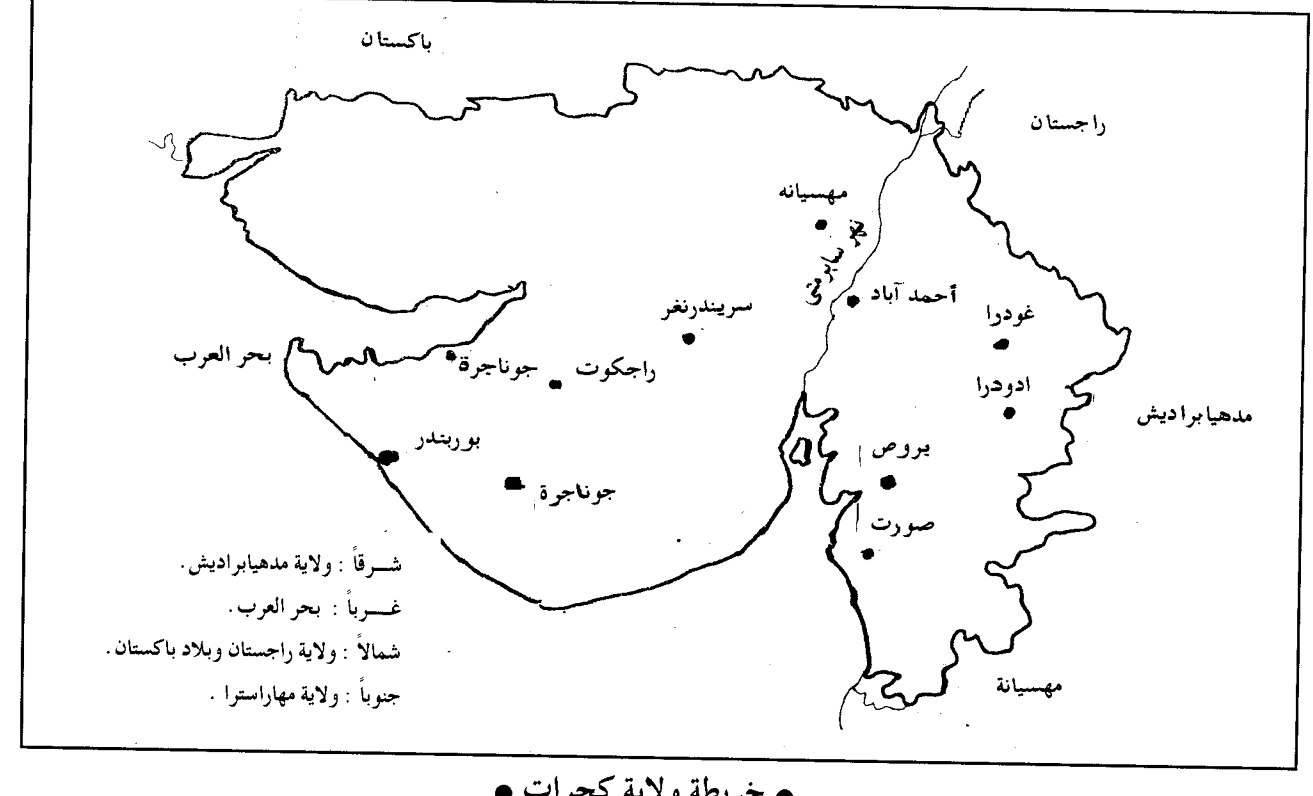
فمررنا بجامع كبير اسمه جامع باندرا وقال الشيخ مختار: إن هذا الجامع الكبير يسكن حوله طائفة من المسلمين أغلبهم من ميسوري الحال. ثم مررنا بعد ذلك بأكواخ من الخيش والأعواد في الميادين والأماكن المتسعة وأحياناً في حواشي الشوارع المتسعة، وقد

أقامها أهلها الفقراء بالقوة ولاتستطيع الحكومة إجبارهم على إزالتها وتكررت رؤية الزحام الشديد حول مدخل المطار ولذلك عرفت أنهم على صواب حينما منعوا دخول غير المسافرين إلى قاعات الترحيل .

وأدخلوني إلى مكان في المطار بصحبة موظف من مراسم المطار أوموظفي السعودية لا أدري ولكن ذلك كان من أجل تذكرتي في الدرجة الأولى وجوازي السياسي ومع ذلك كان كل شئ مزعجاً حتى إن الذي يفتش الداخلين إلى القاعة الصغيرة التي يدخل منها الناس إلى الطائرة فتش جسمي بيديه الخشنتين وصار يقلب حقيبتي اليدوية وهو يتمتم بسؤالي عما تحتويه.

وقامت الطائرة السعودية من بومبي إلى الظهران فالرياض في الثامنة والنصف مساءً.

إلى غرب الهند .. كرة أخرى



● خريطة ولاية كجرات ●

تمهيد

سوف نزور في هذه الكرة ولاية (كجرات) المشهورة وإن كانت شهرتها في بلادنا بأمرين متناقضين أولهما: كون أهل كجرات من رجال المال، والأعمال التجارية المعروفين في الهند وفي خارجها، والثاني: كثرة الاضطرابات، والنزاعات الطائفية بين المسلمين والهندوكيين.

وسوف نتحدث أولاً عن معلومات عامة عن هذه الولاية في الوقت الحاضر ثم نتبع ذلك بنقل شئ من أحوال الولاية التاريخية عن عالم من علماء المسلمين الهنديين هو السيد عبدالحي الحسني والد العلامة السيد أبي الحسن الندوي الشخصية المعروفة في العالم الإسلامي.

وذلك قبل أن نقص عليك قصة المشاهدات في هذه الولاية المهمة من ولايات الهند الغربية وفي خلال الحديث إشارات واستطرادات عن أشياء كثيرة من أحوال المسلمين فيها ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإلى الله ترجع الأمور.

ولاية كجرات

تقع ولاية كجرات في أقصى غرب الهند، وتبلغ مساحتها ١٩٦٠٢٤ كيلومتر مربع، وسكانها ٤١,٧٧٤,٣٤٣ نسمة وفق إحصاءات ١٩٩١م ويسكن فيها ٢١٠ نسمات في الكيلومتر المربع. وتقسم كجرات إلى ١٩ مديرية.

ويبلغ عدد المسلمين فيها ٢,٩٠٧,٧٤٤ نسمة وفق احصاء ١٩٨١م، وبهذه النسبة تحتل ولاية كجرات الدرجة العاشرة بين ولايات الهند الأخرى، وكان المسلمون يشكلون ٨,٥٣ في المائة من سكانها.

ونذكر فيما يلي نسبة المسلمين في أربع احصائيات أجريت من سنة ١٩٥١م إلى ١٩٨١م.

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	١,٤٥١,١٠٧	٨,٩٢
١٩٦١م	١,٧٤٥,١٠٣	٨,٤٦
١٩٧١م	٢,٢٤٩,٠٥٥	٨,٤٢
١٩٨١م	٢,٩٠٧,٧٤٤	٨,٥٣

ومازالت نسبة المسلمين فيها تقل منذ ١٩٥١م إلى ١٩٧١م، ولكنها زادت بعض الزيادة في سنة ١٩٨١م، على رغم ذلك لم تبلغ إلى حد النسبة التي كان يتمتع بها المسلمون في كجرات في سنة ١٩٥١م، ويقدر أن عدد المسلمين سيبلغ ٣,٦٦٣,٧٥٧ في الإحصائيات المقبلة لما يرجى من زيادة نسبة المسلمين إلى ٢٦ في المائة، ويسكن في كجرات أربعة أشخاص من كل مائة شخص من مجموع سكان الهند كلهم.

وتقع في جنوب ولاية كجرات مديرية جبلية وقبائلية تسمى بـ «دانغس».. يؤلف المسلمون فيها أقل عدداً من المناطق الأخرى في كجرات، إذْ يشكلون فيها ٢٪. فقط، أما مديرية كجه فهي أكبر مديريات الهند واقصاها غرباً، وهي تقع في جنوب «السند»

والباكستان، ونسبة المسلمين فيها ١٩ في المائة، ونسبتهم في بهروج أكثر من ١٦ في المائة.

وفي منطقة «جام نغر» ١٢٪ وفي أحمد آباد حوالي ١١٪، وفي «سورت» حوالي ٨٪، وفي بروده حوالي ٨٪ أيضاً.

ملوك المسلمين في كجرات

قال السيد عبدالحي الحسني في كتابه «الهند في العهد الإسلامي»..

كانت مملكة كجرات لملوك دهلي إلى عهد محمد شاه الفيروزي، فوليها عنهم ظفر خان بن وجيه الملك الدهلوي سنة ثلاثة وتسعين وسبعمائة، فضبط البلاد، وفتح مالم يفتح قبل ذلك، واستقل بها سنة عشر وثمانمائة، ولقب نفسه مظفر شاه.

مظفر شاه الكجراتي

استقل بالملك سنة عشر وثمانمائة وأحسن إلى الناس، وكان كريماً رحيماً، شجاعاً مقداماً، مجاهداً في سبيل الله، حسن العقيدة، حسن الفعال، سموه في كبر سنه، فمات سنة ثلاث عشرة وثمانمائة.

أحمد شاه الكجراتي

لما مات مظفر شاه، ولي مكانه حفيده أحمد بن محمد بن المظفر الكجراتي، ولقب نفسه أحمد شاه، وفتح الفتوح العظيمة، وغزا الكفار غير مرة، ومصر مدينة كبيرة بكجرات، وسماها أحمد آباد، وكان محباً للعلم وأهله، صنف له محمد بن أبي بكر الدماميني

عدة مصنفات.

مات سنة خمس وأربعين وثمانمائة، ومدته اثنتان وثلاثون سنة.

غياث الدين محمد شاه

لما مات أحمد شاه، ولي ملكه ابنه غياث الدين محمد شاه في السابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثمانمائة، ونظر بالعناية إلى وزراء أبيه وعماله، ولم يغير أحداً عما كان عليه من نعمة في أيامه وكان عمره لما تسلط عشر سنين، ومولده في سلطان بور المجاورة «نيلا بار» وبه سميت البلدة، وتوفي وعمره ثمان وعشرون سنة، ومدة سلطته ثمان سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام.

وكان شجاعاً مطاعاً، جواداً، ولهذا كان يقال له: «لك بخش» ومن مآثره «سكرتلا» وكان حوضاً عجيباً.

مات في ثامن شهر محرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

قطب الدين أحمد شاه بن محمد شا

ولي الملك بعد أبيه، وقاتل الكفار غير مرة، واستخلص قلعة «ناكور» من مرازبة «جتّور»، وقاتلهم أشد قتال، وهزمهم أقبح هزيمة.

مات في جمادي الأخرى سنة اثنتين وستين وثمانمائة، وكانت مدته سبع سنين وستة أشهر.

داود شاه بن أحمد شاه

ولي الملك. بعد والده قطب الدين، وكان عرياً عن الجدارة

والصلاح للملك، شديد الميل إلى الهوى، وعد الأصاغر بمناصب الأكابر، وبلغهم ذلك، فاتفقوا على خلعه بعد سبعة أيام من جلوسه، واتفقوا على محمود بن محمد شاه.

أبوالفتح محمود شاه محمد

ولي الملك في الحادي عشر من رجب سنة اثنتين وستين وثمانمائة، وهو ابن خمس عشرة سنة، فاستقل به، وضبط البلاد والحصون، وغزا الكفار، وفتح بلادهم، وساس الأمور، وأحسن إلى الناس، وغمرهم بإحسانه، وفتح قلعة «بارود»، وكانت لقلة الجبل عند «المرفا» المعروف بدمن، وفتح قلعة «كرنال» بكسر الكاف، وكانت من أمنع قلاع الهند، وفتح قلعة بيت و«دواركا»، وفيها صنم من أشهر أصنام الهنادك، يحجون إليه من أقطار بعيدة، وفتح قلعة «جانبانير»، وكانت قلعة حصينة منيعة، لاتكاد تفتح، وفتح غير ذلك من البلاد والقلاع.

وكان أكبر ملوك «كجرات»، وأحسنهم عقلاً، ودينا، وسياسة، اجتمع بحضرته خلق كثير من أرباب الفضل والكمال من العرب والعجم، حتى صارت بلاد كجرات عامرة، آهلة بالعلماء، ووفد المحدثون من العرب، ونفقت على أيديهم سوق الحديث الشريف، فتشابهت باليمن الميمون، وصارت أحمد آباد مدينة العلم والعلماء.

وقد مصر محمود شاه بلدة كبيرة عند «جانبانير» وسماها محمود آباد، وبلدة عند قلعة «كرنال» وسماها مصطفى آباد، ومصر بلدة على اثني عشر ميلاً من أحمد آباد وسماها محمود آباد، ولما فتح «جونه كده» و«جانبانير» وغيرهما من البلاد، صار لمحمود من

حد « مندو » إلى حد السند، من « جونه كده » وإلى « سوالك بربت » من « جالور » و« ناكور » وإلى « ناسك ترمك » من بكلانه ومن برهانبور إلى برار، وملكابور من أرض دكن وإلى كركون ونهر « نربدة » من جانب برهانبور، ومن جانب ايدر إلى جيتور وكونيلنير، ومن جانب البحري حدود جيول، والله يؤتي ملكه من يشاء.

عاش إحدى وستين، ومات سنة سبع عشرة وتسعمائة، ومدته خمس وخمسون.

أبو النصر مظفر شاه الحليم

ولي الملك بعد أبيه، وأحسن إلى الناس، وساس الأمور سياسة حسنة، وفتح الفتوحات العظيمة، وكان سلطاناً عادلاً، باذلاً كريماً، حليماً متورعاً، محدثاً يتتبع الأحاديث النبوية، ويكتب المصاحف بيده، ثم يبعث بها إلى الحرمين الشريفين، واجتمع عنده كثير من العلماء والأشراف.

مات سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، ومدته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر.

اسكندر شاه بن المظفر الحليم

ولي الملك بعد أبيه، ولعب بلسانه، فوعد الأصاغر من حاشيته بما للأكابر من المناصب، والألقاب، فانحرفت عنه جماعة من الأمراء، واتفقوا على خلعه، وقتله عماد الملك بعد ثلاثة أشهر من جلوسه على غفلة منه، وولي مكانه نصير بن المظفر، ولقبه بمحمود شاه.

محمود شاه بن المظفر

ولاه عماد الملك، وجعله لعبة، وكان بهادر بن المظفر بدهلي عند موت والده، فلما سمع ذلك، ارتحل إلى كجرات، وفي أثناء الطريق سمع أن أخاه اسكندر شاه قتل، فجد السير ودخل كجرات، واجتمع لديه الأمراء، وتحصن عماد الملك بجانبانير، فسار إليها، وقتل عماد الملك، وكانت مدة محمود شاه نحو أربعة أشهر.

بهادر شاه بن المظفر

ولي الملك يوم عيد الفطر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، وأحسن إلى الناس، وساس الأمور سياسة حسنة، وفتح الفتوحات العظيمة، وخطب له نظام شاه بأحمد نكر، وعماد شاه في برار، ومحمد شاه ببرهانيور، وسار بعساكره العظيمة إلى «مالوه» فملكها، ثم أغار عليه همايون بن بابر التيموري، فانهزم منه سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة، وسار إلى بلاد السواحل، ولما رجع همايون المذكور إلى دهلي، كرّ راجعاً إلى أحمد آباد، وضبط بلاده مرة أخرى، وسمع أن الإفرنج نزلوا ببندرديو، وكان طلبهم في زمان الفترة ليستعين بهم في قتال همايون المذكور، فسار إلى «بندرديو» مع أصحابه، ليرجعهم إلى بلادهم، فقتلوه على غفلة منه، وقبضوا على «بندر ديو»، وكان ذلك في رمضان ثلاث وأربعين وتسعمائة.

وقال السيد عبدالحي الحسني في كتابه الهند في العهد الإسلامي عن (أحمد آباد) عاصمة كجرات : أحمد آباد مدينة حسنة على نهر «سابر» على بعد خمسين ميلاً إلى الشمال من خليج «كنباية»، وكانت ذات سور عال، وحصون قوية تمتد إلى مدينة

محمود آباد، وكانت تشتمل في الإسلام على ستين وثلاثمائة محلة، وكانت أجمل مدن الهند، قد اشتهرت في تجارتها المتسعة الدائرة في النيل، والقطن والأفيون، والمصنوعات الذهبية والفضية، والحريرية، بناها أحمد شاه الكجراتي، وزينها بأبنية فاخرة، غير أنها الآن انحطت عما كانت عليه، لأن محيطها كان مع رساتيقها سبعة وعشرين ميلاً، والآن لايزيد عن ستة أميال، وقيل: كان فيها ألف جامع، لكل واحد منها منارتان، وكان أعظمها جامع أحمد شاه، وعلى نحو خمسة أميال من أحمد آباد مسجد على صورة البيت الحرام في مكة المباركة، وبقرب المدينة كثير من الحدائق، ومواضع التنزه، وتلك المدينة كانت قصبة بلاد «كجرات» في الدولة الإسلامية.

«محمود آباد» كانت مدينة كبيرة في الإسلام على اثني عشر ميلاً من أحمد آباد، مصرها محمود شاه الكبير، ثم بنى بها محمود شاه الصغير.

وقال في موضع آخر وهو يتكلم على الحدائق في الهند:

ومنها، أن محمود شاه الكجراتي، أسس الحدائق والبساتين في بلاده، وحرض الناس على ذلك، وأمر أن يعطى الصلة لكل من يغرس الأشجار المثمرة بأرض كجرات، ولو شجراً واحداً، فمال إليه الناس حتى الأرامل والعجزة، فإنهم أنشأوا الحدائق، وغرسوا الأشجار المثمرة في أرضهم، وجلبوا الأثمار والفواكه من بلاد أخرى، حتى صارت أرض كجرات أرضاً مخضرة في زمان يسير، وحصلت فيها من الأشجار والأثمار مالم يكن بها أبداً، فمن جملة ذلك، كانت حديقة الفردوس من إنشاء محمود شاه المذكور، طولها خمسة أميال، وعرضها ميل، وغرس فيها مائة ألف من الأشجار المثمرة.

يوم السبت ١٤٠٨/١/١٢هـ ١٩٨٧/٩/٥م :

من الرياض إلى بومبي

وصلت إلى بومبي قادماً من الرياض على طائرة الخطوط السعودية من طراز بوينغ ٧٤٧ وأهم التجديد في الدرجة الأولى فيها هو وضع بوصلة ضخمة في سقفها تشير إلى اتجاه القبلة. أما مقاعدها الواسعة التي يخرج من أسفلها لسان عريض بمجرد أن تضغط على زر كهربائي بجانب المقعد فإن ذلك ليس جديداً كلية لأنني جربته في عدة رحلات قريبة وهو يجعل السفر مريحاً في هذه الدرجة بحيث تنام في مقعدك أو تستلقى إذا أردت وكأنما أنت على سريرك في بيتك، إلا أن الذي كدر عليَّ الراحة هو ثرثرة المضيفات الهنديات ورفع أصواتهن بذلك غير مباليات بالركاب.

وأطفال سمر يأتون من الدرجة السياحية ويتقافزون في الأولى ويضربون أرض الطائرة بأرجلهم فيزعجون ركاب الأولى ولاتمنعهم المضيفات من ذلك. ولو كن من الأوروبيات لمنعن هؤلاء الأطفال منه.

في مطار بومبي

كنت أول الداخلين لمكاتب الجوازات في المطار، لأن ركاب الأولى نزلوا قبل السياحية ولكن ضابط الجوازات تأخر قليلاً عند ختم جوازي وأراه اثنين آخرين من زملائه وذلك أن السفارة الهندية لم تضع رقماً على سمة الدخول السياسية التي منحتني إياها في جوازي.

وسمعت صراخاً منكراً من مكتب للجوازات مجاور فإذا هو من كهل سعودي عليه الملابس العربية فسألته بعد أن هدأ قليلاً إذْ كان

متأثراً فقال: هؤلاء القوم يريدون مني أن أعطيهم نقوداً من أجل أن يختموا جوازي مع أن معي تأشيرة صحيحة من سفارتهم، إنهم يستغفلوننا ويريدون أن يأخذوا منا المال بغير حق وقد نفعه ذلك إذْ تركوه يمر دون مايسمونه (بخشيشاً) أي حلوانا، أما الضابط الذي ختم على جوازي فقد ناداني أن أدخل وأقف خلفه قبل أن يعطيني الجواز غير أنه لم يقل شيئاً بصريح العبارة، ولم اعطه شيئاً لأن ذلك ليس في وجهه وإلا فإن يكفيه عشرون روبية مثلاً، أي خمسة ريالات سعودية.

وعادة سؤال المسافرين من العرب سواءً أكانوا قادمين أم مغادرين لمطار بومبي هي معروفة للجميع وسببها أن بعض العرب يستهينون بالمبلغ الذي يطلبه ضابط الجوازات منهم، مع أن ذلك يورث الطمع فيهم كما هو حاصل الآن بالفعل.

ولم أكن أخبرت السفارة السعودية بوصولي إلى الهند، ولاطلبت أن يستقبلني منها أحد كما كان ذلك في المرة السابقة، وذلك من أجل أن أرى معاملة الموظفين في المطار للناس إذا كانوا كالركاب المعتادين.

وعند ضابط الجمرك أخذ يرفع حقيبتي بيده كالذي يريد أن يعرف وزنها وكان قد رأى جوازي (دبلوماسياً)، فقال لي: ماذا بداخلها، إني أراها ثقيلة؟

فقلت له ياهذا، لقد رأيت جوازي سياسياً فإما أن تتركني أمر دون تفتيش وكان هذا على الممر الأخضر الذي يمر به من ليس معهم شئ يحتاج إلى جمرك، أو تطلب فتحها رغم ذلك فقال لي لا، تفضل بالخروج، ولم يفتح لي شيئاً.

ووجدت عند الخروج أخوين من طلبة العلم يعرفان العربية كان أرسلهما الشيخ مختار أحمد الندوي لاستقبالي نيابة عنه لأنه في رحلة خارج بومبي وكان الشيخ عبدالحميد السلفي قد قابلني في مكتبي في مكة المكرمة قبل اسبوع وعرف وقت وصولي إلى بومبي وهو يسكن في دلهي ولكنه أخبر الشيخ مختار بذلك.

فحجزت من المطار على أول طائرة تسافر إلى مدينة (أحمد آباد) عاصمة ولاية كجرات في الساعة الخامسة والنصف فجر الغد وذهبت مع الأخوين الكريمين إلى فندق قريب من المطار رأينا سيارة له واقفة اسمه فندق (كوهي نور) أي فندق جبل النور فكوهي جبل، ونور هي كلمة النور بمعنى الضياء بالعربية.

وطلب صاحبه دفع الأجرة مقدمة على إعطاء المفتاح وهي (٤٣٠) روبية ويساوي ذلك بالصرف الرسمي اثنين وثلاثين دولاراً أمريكياً، والفندق كما قال صاحبه من مستوى ذوات النجوم الأربع إلا أنني رأيته دون ذلك، وتشمل الأجرة النقل إلى المطار عند المغادرة.

يوم الأحد ١٤٠٨/١/١٣هـ ١٩٨٧/٩/٦م :

من بومبيء إلى أحمد آباد

رنَّ جرس الهاتف في غرفتي في الثالثة والنصف قبل الفجر فنزلت في الرابعة إلى الاستقبال ووجدت فيه رجلاً لم أره البارحة قال لي: لقد دفعت الأجرة مقدمة؛ فقلت: نعم ولكني هاتفت مرتين داخل بومبي ثم اعطيته عشرين روبية لم يكن معي أصغر منها فقال وهو يدسها في جيبه بالعربية: طيب، طيب، يو عرب، أي أنت عربي.

فقلت له: كم أجرة الهاتف؟ فقال: ست روبيات فقلت له: إذاً أعطني بقية العشرين، وكانوا اعتادوا على أن يأخذوا من العرب أشياء دون حق وهي وإن كانت قليلة فإن المرء لاينبغي ان يسلم لمن يستغله.

وقد تأثر من ذلك فقد طلبت منه السيارة التي توصلني من الفندق إلى المطار وهو قريب كما كان الاتفاق البارحة، وكان صاحب الفندق أخبرني أن هذه هي عادتهم فقال: انتظر، وبعد فترة قلت له: ياهذا، إن موعد حضوري للمطار قد أزف ولا أستطيع التأخر، فقال : هل نحضر لك (تاكسياً؟) فقلت له: لا أريد إلاَّ سيارتكم كما قال لي المدير، فأمر السائق أن يوصلني وكانت واقفة.

واعطيت الروبيات التي أراد أخذها مني لخدم الفندق.

وفي المطار لم أقف عند المأمور بالترحيل بل انتهى كل شئ بسرعة.

والهند من البلدان التي لايبقى المرء طويلاً عند مكاتب الترحيل فيها رغم الازدحام على الطائرات في العادة بسبب صغرها وليس

بسبب كثرة ركوب الناس فيها إذْ عادة ذوي الدخول المحددة فيها أن يسافروا بالقطارات أو الحافلات.

ولم يكن لدي ما أفعله قبل ركوب الطائرة فقصدت مقصفاً صغيراً في المطار يتناول الإنسان مايريده منه وهو واقف ليس له كراس فوقفت في زحام شديد عنده وطلبت كوبا من الشاي.

وبعد قليل وضع الذي يصنع الشاي كوباً لا أدري لمن هو وادركت أحد الواقفين عليه عطسة ثرة تبعتها أخرى وقد أطلق عطستيه دون حاجز من منديل أو نحوه ولم ينكر عليه أحد من الواقفين، وعجبت من ذلك ولكن عجبي بل نفوري زاد عند ما أخذ العامل ذلك الكوب الذي عطس عليه الرجل وقدمه إليَّ. فأسرعت بالإنصراف عن المقصف وأنا أقول : لا أريد الشاي.

وهذه عادة لهم بأن يعطس المرء أو يسعل في الزحام دون أن يستر فمه وانفه بمنديل أو نحوه، ولاتجد لفعله ذلك منهم منكراً.

ولهذا السبب قل من يزور الهند فلا يصاب بالزكام، هذا أمر يعرفه كل من جربه منهم،

وفي قاعة الترحيل الخارجية نادى مناد على ركاب أحمد آباد أن يخرجوا للتعرف على أمتعتهم فكان كل راكب يشير إلى حقيبته يتسلم منه الموظف بطاقة الحقيبة التي يحملها ويقارن بينها وبين رقم البطاقة المعلقة في حقيبته فإذا تأكد الموظف من ذلك وضع علامة على أنه قد فحصها وتأكد منها.

ثم عدنا إلى قاعة المغادرة، وبعد ذلك نادوا على الركاب ونقلوهم في حافلة قديمة إلى الطائرة.

وقبيل الإقلاع جاءت المضيفات بالصحن المعتاد عندهم ويكون

فيه الحلوى المعتادة وقليل من حب الكراوية وأكياس صغيرة من الورق فيها قليل من القطن يأخذ منه الراكب مايشاء ليضعه في أذنه، ولاحظت أن أكثر الركاب يأخذون من الحلوى أكثر من واحدة ويضعونها في جيوبهم.

قامت الطائرة إلى مدينة (أحمد آباد) عاصمة ولاية كجرات في السادسة إلاَّ خمس دقائق صباحاً متأخرة عشر دقائق عن الموعد المحدد وهذا لايعتبر تأخيراً في عرف شركات الطيران الدولية إذْ تأخير ربع ساعة فمادون يعتبر فيها الآن أمراً مألوفاً.

وأعلنت المضيفة أن مدة الطيران ستكون ٤٥ دقيقة.

وقد قامت الطائرة من المطار قياماً مزعجاً وهي تنهض بسرعة أكثر من السرعة المعتادة ممايزعج الركاب وهذا أمر عرفناه من الطيارين الهنود سواء عند الإقلاع أو الهبوط وبخاصة في هذه الطائرات النفاثة التي لاتعتبر كبيرة، ٧٣٧ صغرى طائرات شركة بوينغ، وكان الدليل على سرعتها أنها وهي تمر من خلال السحاب كأنها السيارة تمر من عند الأشياء الثابتة كالبيوت.

وكان الظلام لايزال دامساً في المطار إلاَّ أن الطائرة عندما ارتفعت بانت غرة الفجر جهة المشرق ثم ارتفعت فوق السحاب الذي بدت مفارقه كأنما علاها المشيب كتقاليد الهند العريقة التي انهكتها القرون ولكن لايزال أصحابها بها يتمسكون. حتى وإن خالفت المعقول، وبدت في شكل غير مقبول كعبادة البقر والحجر فضلاً عن الحيوان والشجر.

وكان من حسن حظي أن مقعدي كان بجانب النافذة في الجهة اليمنى وهي جهة الشرق من الطائرة لأنها تطير إلى الشمال فتمتعت

بمنظر الأفق الشرقي ذهبياً تحته السحاب الذي هو في لون الفضة غير الصافية، بل إنه يبدو كأنما علاه الدخان فصار الدخان تحت اللون الذهبي الذي قد يوحي للناظرين بأنه قريب من منظر الجمر الملتهب قد انعكس وضعه عن العادة التي يكون الدخان فيها فوق النار.

ومع هذا الجمال من خارج الطائرة فإن المضيفة قد أعادتني إلى داخل الطائرة وهي تقدم الضيافة التي هي قرصان من البسكويت صغيران قد وضعا في صحن ومعهما كوب للشاي والقهوة وهذه كل الضيافة في هذا الوقت الذي يتطلع فيه الركاب إلى إفطار شهي في الطائرة وكان لباس المضيفات هو اللباس الهندي التقليدي الذي هو الساري المؤلف من قطعتين الكبرى منهما كأنها الفوطة الطويلة السابغة التي تضرب إلى الكعبين وينطلق منها قطعة أخرى كالرداء تنسف على أحد الكتفين وفوقه صدري ذو كمين قصيرين وبينها مسافة قصيرة من أعلى البطن والظهر بارزة.

وقد تظافر هذا مع حالة مقعد الطائرة المتسخ الذي يظهر أنه لم يغسل ولم يغير منذ مدة.

وقد بزغت الشمس ونحن نشاهدها من فوق السحاب في الساعة السادسة والثلث.

وسألت جاري في المقعد عن فندق جيد في مدينة (أحمد آباد) فكتب لي اسمه (كاماهوتيل) وذكر لي أجرته بالتحديد (٦٧٠) روبية لليلة الواحدة فعجبت لدقة معرفته به مع أنه ذكر لي أنه من أهل مدينة أحمد آباد نفسها، ومن العادة أن أهل المدينة لاينزلون في فنادقها ولذلك لايعرفون أجرة الفنادق بالضبط.

ثم نزلت الطائرة مسرعة أيضاً وهي تخترق السحاب فبانت

الأرض في هذه المنطقة التي لايزال الغبش يلفها بلفاف أرضاً ذات مظهر جاف وإن تكن فيها بعض القطع الخضراء ورأيت نهراً واسع المجرى جافاً أيضاً.

والأرض كلها معمورة، بل مزدحمة بالعمارة مابين حقول وقرى، والقرى الريفية كثيرة، بل ربما كان ذلك أكثر ماتتحمله طاقة الزراعة فيها فيما يظهر للنظرة السريعة.

إلاَّ أن مظهر البيوت في القرى والأماكن التي سبقت هبوط الطائرة كان مظهراً لابأس به بالنسبة إلى بلاد الهند.

في مطار أحمد آباد

هبطت الطائرة في السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد طيران استمر ٤٥ دقيقة في مطار صغير بالنسبة لحجم المدينة، وذي أبنية حمراء اللون.

ركبت سيارة أجرة ذكر لي صاحبها الأجرة قبل أن تتحرك وأنها ٤٥ روبية أي ١٢ ريالاً سعودياً لمسافة ١٢ كيلومتراً لما بين المطار وفندق (كاما) الذي قصدته.

وسارت السيارة مع طريق ضيقة ذات أشجار بعضها كبير قد انحنى على الطريق.

ووصلنا بسرعة إلى منازل من ضواحي المدينة ذات سقوف مسطحة وهي من ضواحي المدينة وكان أهم ما استرعى انتباهي في هذه الضواحي منظر حُمُر - جمع حمار- عليها أحمالها القليلة النزرة وهي حمر صغيرة ضعيفة ولكن مما لاشك فيه أن أهلها لم يستطيعوا أن يحصلوا على سيارة نقل ولو صغيرة حتى يستبدلوها بها.

ورأيت عدداً من الحمير بعد ذلك مهملة تسير دون أحمال — وعربات من عربات الركشا الهوائية وهي الدراجات المعتادة التي تسير دون محرك وقد حمل عليها صاحبها راكباً بالأجرة وهو يسوقها بقدميه.

ويلفت النظر أيضاً غطاء الرأس على الشرطة فهو ليس قبعة أوما يشبه القبعة، وإنما هو عمامة واقفة، ذات ذؤابة مما يشعر المرء بلباس الحراس وأعوان السلاطين في القديم.

ثم صار الطريق مزدوجاً واحد منه للقادم والآخر للذاهب ولكنه ضيق جداً.

ومررنا بحديقة ذات سور أحمر مما يدل على أن اللون الأحمر هنا له اعتباره لأن مبنى المطار هو ذو لون أحمر كما سبق.

في مدينة أحمد آباد

دخلنا المدينة مع شارع عام قد ازدحم بالناس الذاهبين إلى أعمالهم في هذا الوقت المبكر من الصباح، ولكن شاركهم في استعمال الشارع عدا السيارات القليلة أعداد كبيرة من الدراجات الهوائية وذات المحركات وبعير يجر عربة ضخمة، وحمار أيضاً يجر عربة أصغر من ذلك كاد يصطدم بالبعير وعربته. وكلب كان يتلوى بين أكوام الدراجات المتحركة.

وثيران من ثيران العربات ذات قرون ضخمة وهي تجر حملها الثقيل ومن المناظر التي تسترعي الإنتباه أيضاً: منظر نسوة قد اجتمعن على صنبور ماء في الشارع يأخذن منه الماء لبيوتهن ممايدل على أن الماء ليس متوافراً في بيوت المدينة أو على الأقل في البيوت الصغيرة.

وعدد من المعز البيض الألوان، الصغيرة الأحجام.

نزلت في فندق (كاما هوتيل) الذي كنت أخذت اسمه من جاري في مقعد الطائرة وقد خفضوا الأجرة بمقدار الخمس ٢٠٪ كما صار يعبر عنه عوام الكتاب وذلك من أجل كوني أحمل جواز سفر دبلوماسياً، ولم أكن أنوي أن أطلب منهم ذلك، ولكن الموظف طلب مني أن أريه الجواز فلما رآه أعطاني التخفيض المعتاد فصارت الأجرة (٢٨) دولاراً أمريكياً.

وأنزلوني في غرفة في الطابق الثاني واسعة فيها سريران مع أنني طلبت سريراً واحداً لشخص واحد وهم في الهند يدققون في هذه الأشياء عادة فلايعطونك الغرفة ذات السريرين وأنت واحد بقيمة الغرفة ذات السرير الواحد مع أنني لم أسألهم عن ذلك.

ونمت نوماً عميقاً لأنني صحوت البارحة مبكراً.

النهر الجاف

أفقت من نومي في العاشرة والقيت نظرة من نافذة الفندق فوجدتهم قد بنوه على ضفة نهر واسع المجرى على جانب منه جسر عريض مهم، ولكن النهر قد جف حتى لا ترى فيه إلا مناقع في بعض المواضع وتستطيع أن تسير في مجراه من جهة إلى الجهة الأخرى دون أن تمس قدمك بللاً، بل رأيت أبقاراً تسير فيه لتشرب من بعض المناقع في جوانبه، وإلا فإنه لا رعي فيه وهي هزيلة لأن الجدب الذي جعل هذا النهر يجفُّ قد أكسبها النحول.

ونزلت إلى حديقة الفندق التي تقع على النهر الجاف مباشرة وفيها بركة صغيرة للسباحة ليس عندها أحد. ووصلت مباشرة في

ركن منها إلى بيت يفضي إلى فناء الفندق المكشوف بجانب هذه المدينة ليس بينه وبين فناء الفندق حاجز، وأنا أظنه جزءاً من الفندق وإذا بي أفاجأ بكلب شرس ادركه خادم في البيت بسرعة وقال لي بالانكليزية، هذا بيت مدير الفندق والكلب هذا شرس.

وعجبت من كونهم لم يفصلوه عن الفندق وقدرت أن النزلاء عندهم قليل وربما كان أكثرهم لايهتم بالسير في الحديقة أو فناء الفندق.

وقد عجبت لمنظر هذا النهر الجاف الذي ذكرني بمنظر الوديان في بلادنا التي تسيل في موسم المطر في بعض الأحيان وتحفر مجرى عميقاً ولكنها تظل في أكثر السنة جافة قد أقيمت عليها الجسور.

ثم ذهبت إلى مقهاة الفندق وتقع في طابق أسفل من الذي فيه الادارة تنزل إليه من جهة الشارع الذي فيه مدخل الفندق بدرج ولكنه أعلى من الجهة التي تلي الوادي فطلبت شاياً وطلبتهم أن يكون خفيفاً فجاءوا به أسود كالقطران فطلبت ماءً مغلياً حاولت تخفيفه به ولكنه يبقى رغم ذلك أسود مُر الطعم يحتاج إلى مقدار كبير من السكر لتحليته ويحتاج إلى حليب يوضع عليه ليسوغ شربه كما يفعلون هم بالشاي في الهند كلها.

هذا إلى كوني وأنا أدخل إلى المقهاة رأيت أسراباً من الذباب واقعة على أرض الشارع عند مدخلها، وهي ذبان ملحة مؤذية.

ولم يكن في المقهاة مايحمل على الجلوس إلا أنني رأيت فيها فتى أظنه المحاسب وجيه المظهر ذا لون أبيض نظيف الثياب بالنسبة إلى باقي العمال فيها فسألته عما إذا كان يعرف عنوان الأخ (ميرزا قرار بيك) أو يعرف رقم هاتفه وكان الأخوة الذين استقبلوني في مطار

بومبي أمس قد أخبروني أن الشيخ (مختار أحمد الندوي) طلب منهم أن يخبروني باسم الشخص حتى اتصل به وأمرهم أن يعطوني رقم هاتفه فلم يستطيعوا الحصول عليه فانبسطت اسارير هذا الشخص النظيف وقال: أنت مسلم إذاً؟ قلت: نعم، قال: أنا أخوك المسلم أيضاً واسمي (نظامي).

ثم أخذ يلح على هواتف أخرجها من الدليل دون نتيجة، فوعدني أن يتصل بالأخوة المسلمين ويحصل منهم على عنوان الشخص.

مقابلة ميرزا قرار بيك

بعد جهد استمر أكثر من ساعتين تجولت أثناءها خارج الفندق وتعرفت على سائق سيارة أجرة يعرف شيئاً من العربية تعلمها في قطر لأنه عمل فيها أربع سنين، جاء الأخ نظامي يزف لي بشرى عثوره على (ميرزا قرار بيك).

فكلمت ميرزا بالهاتف ولكنه لم يفهم مني حرفاً لأنه لايعرف الانكليزية وإنما يعرف لغتين اثنتين وهما الأوردية والكجراتية وعد الثالثة وهي الهندية التي هي قريبة من الأوردية. فلم استطع الانتفاع به.

ولكنه ذكر بوساطة الأخ نظامي الذي يعرف الانكليزية أنه ينتظرني الآن. فذهبت مع السائق وكنت أمني نفسي أن أجد عند (ميرزا قرار بيك) من يعرف الانكليزية حتى يرافقني في جولتي في (أحمد آباد) فوصلنا بناءً عالياً مؤلفاً من عشر طبقات اسمه (جاسمين بلدنغ) أي (مبنى ياسمين)، ويسكن الأخ ميرزا قرار بيك

في شقة في الطابق الخامس منه.

استقبلني الأخ ميرزا بفتور، وربما كان ذلك لكونه لم يتحدث إليه أحد بشأني فقد سألني عما إذا كنت أحمل رسالة أو أي توصية من الشيخ (مختار أحمد الندوي)؟ فأخبرته بأنني وجدته غائباً عن (بومبي) وأنا لا أريد شيئاً يحتاج إلى توصية وإنما أنا أخ مسلم وصل إلى هذه المدينة العريقة التي كانت عاصمة لدولة إسلامية مئات السنين، وأريد أن أرى المؤسسات الإسلامية فيها لأنني أعمل في رابطة العالم الإسلامي التي تهتم بهذه المؤسسات وتعمل على المساعدة في إنمائها وتشجيعها، إضافة إلى أنني أود الاطلاع على الأماكن السياحية الموجودة في المدينة لأنني كاتب أسجل ما أراه، وقد ينشر ذلك في كتاب الهدف منه أن يطلع أخوتكم المسلمون في العالم على حالة المسلمين في هذه الولاية (ولاية كجرات) التي طالما سمعت عن الاضطرابات الطائفية الدامية فيها مابين المسلمين والهندوس وخصوصاً في مدينتكم هذه: عاصمة الولاية: (أحمد آباد).

وكان السائق يترجم كلامي له بالعربية إلى الكجراتية لأنه لايعرف الانكليزية كما قلت. ولم أجد أخانا (ميرزا قرار بيك) الذي كان الأمل الوحيد لي في المساعدة قد انشرح صدره لمجيئي، ولابدا أنه قد اقتنع من كلامي، وربما خاف من أن تكون لذلك عاقبة سياسية.

وكان في شقته شرفة تشرف من البعد على النهر الجاف نهر (صابر متي) الذي عليه فندقنا فوقه الجسر العريض المهم. قال لي إنه (نهرو بريج) أي جسر نهرو.

وكان أطفال يطلون ويختفون علينا من داخل الغرف في شقته فناداهم وقال: هؤلاء بعض أولادي ومعهم بنيات صغيرات وذكر أن عدد أولاده اثناعشر مابين ذكور وإناث وأنهم من زوجتين.

حي خان بوره

وعرفت بعد ذلك أن هذا الحي الذي نحن فيه يسمى (خان بوره) وبوره بالأوردية معناها: حي، أو منطقة فهو إذاً (حي الخان) والمهم أن أكثر سكان هذا الحي من المسلمين وبالنظر إلى أن المسلمين لايؤلفون الآن إلاّ أقلية عددية من السكان بعد أن كانوا هم الحكام على ولاية كجرات هذه وعلى مدينة أحمد آباد آماداً طويلة ولكون الاضطرابات التي كانت تحصل بين المسلمين والهنادكة في المدينة كانت تتكرر فإن المسلمين يفضلون أن يتجمعوا في أحياء خاصة بهم.

وكان قد هاجر قسم من أهل كجرات إلى باكستان عند تقسيم الهند في عام ١٩٤٧م بالنظر إلى قرب ولاية كجرات من حدود باكستان، ولأن بعض المسلمين شعروا أنه من الصعب عليهم أن يعيشوا في هذه الولاية محكومين من الهنادكة بعد أن كانوا هم الحاكمين.

والمبنى الذي فيه منزل الأخ ميرزا قرار بيك (مبنى ياسمين) دليل على أنه في حي للمسلمين وذلك أن ٨٠٪ من سكان هذا المبنى هم من المسلمين والبقية من غير المسلمين.

وذكر الأخ (ميرزا قرار بيك) أن هذا الحي ليس فيه اضطرابات طائفية وقد يكون الأمر كذلك الآن، ولكن كان فيه في الماضي.

وسألت الأخ ميرزا ونحن ننظر من شرفة منزله إلى نهر (صابر ميتى) الجاف وعن أسباب ذلك : فقال إنه الجفاف لقد مضت ثلاث أو أربع سنين ولم ينزل المطر الكافي المعتاد. وأن هذا النهر كان نهراً دائم الجريان كغيره من الأنهار في السابق ولكنه الآن جاف لشح الأمطار هنا في هذه السنين الأخيرة.

والتقطت صورة للحي من شرفه بيته، ولكنه لم يرض أن التقط صورة له وابتعد عن الصورة تورعاً عن ذلك أو لسبب لا أعرفه.

مع العلم بأن الأخ (ميرزا قرار بيك) هو أمين جمعية أهل الحديث في أحمد آباد وإن كان مظهره لايدل على ذلك فهو يدخن كثيراً وليست له لحية معفاة كلحى إخواننا أهل الحديث في الهند.

ويعمل الأخ ميرزا بالتجارة وقد أخبرني أنه لايواجه في تجارته أية مشكلات ناجمة عن كونه مسلماً.

أما مظهره فإنه مظهر العربي إلاَّ أنه ثقيل الجسم شأن كثير من الأثرياء في الهند الذين يكونون غالباً من ذوي الأجسام الثقيلة بسبب توفر الطعام الدسم المحلى بالبهارات التي تجعله شهياً فيأكلون فوق ماتحتاج إليه أجسامهم على حين أن عامة الناس من الفقراء أو من هم دون الغنى لايجدون مثل هذا الطعام فتجد أجسامهم نحيلة، وأحياناً تكون هزيلة.

ولاغرو في وجاهة المظهر للأخ ميرزا لأن اسمه يدل على أنه من سلالة مغولية، والمغول كان منهم حكام عظماء حكموا الهند لقرون عدة وخلقوا فيها آثاراً عجيبة لايزال أهل الهند يفاخرون بها بل ويتاجرون بتفرج السياح عليها مثل (تاج محل) (وفتح بور سكري).

وذلك ظاهر من اسمه فميرزا تدل على أنه من أصل مغولي و(بيك) لقب أيضاً لمن يكون من أسرة تنحدر من أمراء أو من ذوي النفوذ والألقاب في القديم.

وبذلك نعرف أن هذا الاسم المؤلف من ثلاثة أسماء فيما يبدو للجميع هو اسم واحد للأخ ميرزا نفسه وليس اسماً ثلاثياً له ولوالده ولأسرته.

ودعت الأخ (ميرزا قرار بيك) وودعت الأمل في أية مساعدة منه لأسباب قد يكون بعضها عاجزاً هو نفسه عن تلافيه مثل كونه لايعرف الانكليزية فضلاً عن العربية.

وقال لي الأخ ميرزا قبل توديعه: إن عدد المسلمين في مدينة أحمد آباد يبلغ الآن ٣٠٪ وهذا قول سمعته من غيره أيضاً.

فتجولت مع الأخ السائق وهو مسلم عمل – كما قلت – في إمارة قطر أربع سنين وعرف شيئاً من العربية يكفي للتفاهم معه، وبخاصة بعد أن عجزت من لقاء شخص من إخواننا أهل الحديث ممن يعرفون العربية جيداً.

وكان من الأشياء الملفتة للنظر فور خروجنا من (عمارة) ياسمين التي ينزلها المسلمون وتجوالنا في حي (خان بوره) التي معناها (حي الخان) لأن بوره معناها : حي أو مكان كما تقدم و(خان) هي المعروفة – بالعربية كان من أول ما استرعى انتباهي منظر العاملات في البناء وهن من النساء اللاتي يرتدين ملابس فضفاضة، وهو أمر عرفته في أماكن عديدة في الهند وعللت رغبة الناس في تشغيل المرأة في الأعمال الشاقة كأعمال البناء وفتح الطرق، وزفلتة الطرق أيضاً، وأن ذلك راجع إلى كون المرأة تتقاضى أجراً لايزيد على نصف مايتقاضاه

الرجل، وهي إلى ذلك تجد في عملها وإن كان ذلك على بطء وتوانٍ فإنه مستمر.

ومن طبيعة العمل في الماء والأسمنت وأحياناً الطين في البناء أن تكون ملابس العمال الذين يعملون فيه متسخة مع أنها ملابس تكون قصيرة في البلدان الحارة فإن المنظر غير المريح هنا أنك ترى الثياب الفضفاضة على المرأة العاملة وهي تحمل الأسمنت أو التراب على رأسها في وعاء مخصص لذلك كالزنبيل إلا أنه أقل تقعيراً منه، بل إنه يبدو في شكل بين شكل الصحن والزنبيل فترى ثيابها متسخة وهي تسحبها وتحاول أن تجعل الجزء الذي يتدلى من فوق الكتف لايزال في مكانه على الكتف.

ومن الأشياء الملفتة للنظر هنا على عدم أهميتها أنهم وضعوا الأشجار التي غرسوها في الشارع حتى بعد أن طالت في أوعية من المدينة (البراميل) المخرقة حتى تمنع الأبقار السائبة في الطريق التي لم تتعود على أن تتلقى الأوامر من الجمهور فلا تستطيع أن تأكل من تلك الأشجار أو تلحى سوقها – جمع ساق–.

الطابع الهندي

يرى المرء هنا الجنس الهندي المتميز الذي نعرفه في بلادنا وهو الأسمر سمرة خفيفة فهو في لون البدو في الجزيرة ويتميز بنحافة الأجسام وطول الوجوه بخلاف أهل مهاراسترا الذين هم من الجنس المهراتي فضلاً عن أهل الجنوب الذين يختلفون عن أهل الشمال. وذكرت شيئاً من أمرهم في كتاب (في جنوب الهند).

وفي حي (خان بوره) سور أحمر قديم كان مداراً على مدينة

أحمد آباد القديمة التي كان يحكمها المسلمون. بأبراجه المستديرة نصف استدارة كأنها الأهلة التي تشهد على أن قوماً ممن يتخذون الهلال شعاراً لهم كانوا هم الحاكمين في هذه البلاد، وقد دالت دولتهم وزالت سلطتهم، بل إنهم أصبحوا في خوف من اعتداء الأكثرية الهندوكية عليهم حيث صاروا محكومين، بعد أن كانوا حاكمين فيما مضى من السنين.

ولنرجع إلى الأشياء غير المهمة ولكنها تسترعي الانتباه، ومنها كناسات البلدية من النساء النحيفات ومعهن مكانس من القش نحيفة أيضاً وهن يكنسن الشارع ويجمعن مايكنسنه وبخاصة من التراب الدقيق على جانبيه ويتركنه حيث يفترض أن عمالاً سيأخذونه ويذهبون به بعيداً، ولكن الرياح تكون أحياناً أسرع منهم إلى بعثرته وإعادته إلى أرض الشارع، وليس ذلك لسرعة الريح فذلك أمر معروف ولكن لبطء عمال البلدية في عملهم وأحياناً لأهمالهم ذلك العمل.

والغريب أن الكناسات ينفقن وقتاً كبيراً من عملهن في كنس روث الدواب اليابس من الشوارع التي تكثر بها الأبقار، وتأتي معها الجواميس في بعض الأماكن كما شاهدته مع أن المعروف أن الجواميس تكون في المزارع ومواطن المياه، وذلك إضافة إلى دواب الحمل كالحمير والإبل التي تجر العربات.

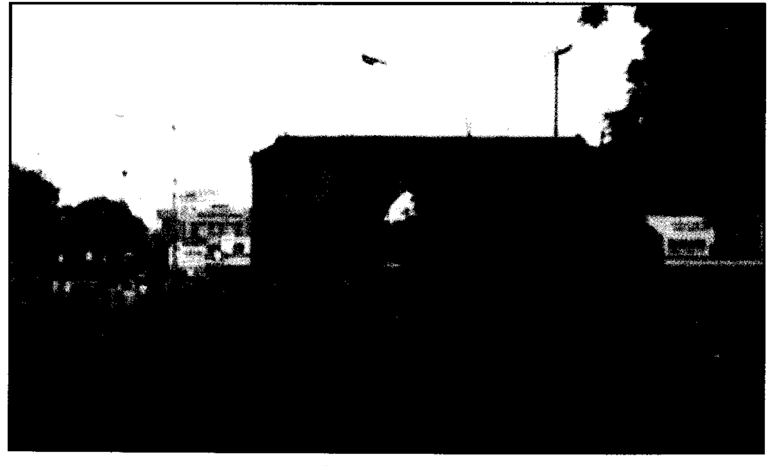
ولذلك صار مرور السيارات فيه صعوبة وبخاصة إذا تصورنا كثرة الدراجات التي تكاد تصم أذنك من الأبواق التي تطلق من الأمام والخلف منك.

ومن الغريب الذي ذكرته وفي أكثر من مناسبة في الهند أنهم يكتبون على مؤخرة السيارة وبخاصة إذا كانت كبيرة أو من سيارات الحمل ولو صغيرة عبارة (هورن بليز) أي من فضلك أطلق المنبه فهم

بهذا خلاف بقية العالم ومنه بلادنا التي يغضب السائق الذي يكون أمامك إِذا أطلقت منبه السيأرة عليه، وبخاصة إِذا كان ذلك بصورة متكررة أو لسبب لا يفهمه.

دروازة دلهي

والدروازة كلمة انقرضت أو كادت من ألسن بني قومنا وكانت هي الشائعة المتعارف عليها في اسم البوابة التي هي أكبر من الباب المعتاد فبوابة القصر الكبير وبوابة سور البلدة كنا نسميها في المنطقة الوسطى الدروازة، وهي كلمة فارسية لهذا المعنى أخذتها الأوردية من الفارسية، ووجدنا (دروازة دلهي) بوابة ضخمة واسعة ولكنها رمزية فليست متصلة الآن بسور من الأسوار ولاهي تمنع أحداً من دخولها وإنما هي مبنية بمثابة تحديد المدينة، لتكون رمزاً للدخول إِليها وأسموها (بوابة دلهي). لأن الذين يذهبون إِلى دلهي كانوا يخرجون منها أو يخرجون من الجهة التي تقع فيها.



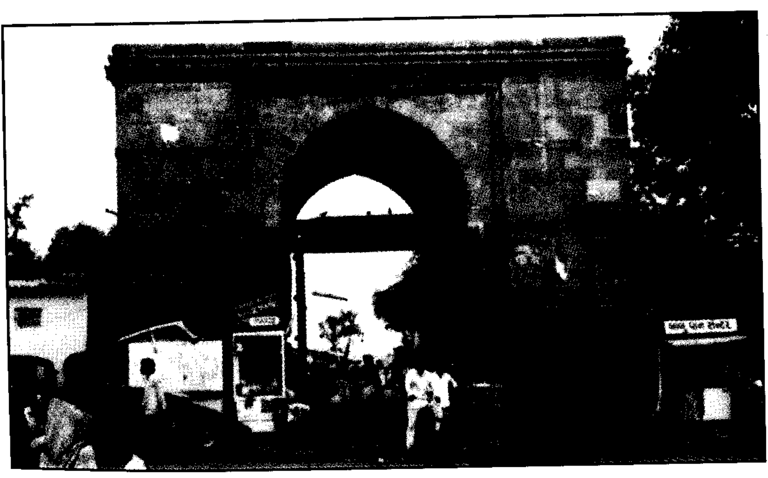
■ بوابة رمزية في أحمد آباد ■

ولهذه التسمية معنى خاص حيث كانت (دلهي) حاضرة من حواضر الحكم الإسلامي، وكانت (أحمد آباد) هذه ومايتبعها من مقاطعة كجرات سلطنة للمسلمين مستقلة في أول الأمر استقلالاً كاملاً ثم صارت مستقلة استقلالاً داخلياً. ولابد لها من الاتصال بدلهي العاصمة اتصالاً سياسياً وثقافياً.

وتقع (بوابة دلهي) الآن في منطقة يخيل للمرء أنها في وسط المدينة القديمة (أحمد آباد) مع أنها كانت على حدودها ولكن مدينة (أحمد آباد) كانت صغيرة، ونمت بسرعة إضافة إلى أن هناك عدة محلات وتجمعات سكنية خارجها التحقت بها الآن حيث اتصلت العمارة بها.

ثم مررنا ببوابة رمزية أيضاً اسمها (برم دروازة) ذكر انها على طريق (دوريا فور) ثم أفضى الطريق إلى وسط المدينة الحالية وهو قديم بالنسبة إلى الأحياء الحديثة فيها ولكنه حديث بالنسبة إلى ماهو داخل سورها القديم الذي مر ذكره.

وشوارعه مستقيمة إلاَّ أنها غير واسعة والزحام فيها على أشده



■ برم دروازة في أحمد آباد ■

لأن اليوم هو يوم الأحد حيث يكثر خروج الناس إلى الشوارع.

وأكثر مايضايق في زحام هذا الطريق من المركبات عربات الركشا وأفواج البقر المتسكعة في الشوارع وهي لاتبالي بالمارة ولابزحامهم، ولاتجد من ينتهرها، ولذلك إذا رأيتها وهي تتبختر في مشيتها خيل إليك أنها تمشي بخيلاء وكبر، لولا أن البقر لاعقول لها. ومع ذلك وجدت من ذوي العقول الآدمية من يعظمها، بل يعبدها، ولايدري ماذا يرجون من عبادتها.

وقد يقول قائل: إنهم لايرجون شيئاً، ولكنهم يعبدونها، وأقول: إن هذا لايصح عقلاً لأن العبادة هي محبة أو خوف أو رجاء فلأي شيء يعبدونها؟.

ووصلنا في أحد الشوارع إلى منطقة مزدحمة جداً وبخاصة من عربات الركشا ذوات المحرك، وهي التي يسمونها (موتور ركشا) وهي تحشرج بأصواتها، وفوقها أدخنتها تلوث الجو وتؤذي حتى الراكبين فيها.

أما المشاة فإنهم أشقى الناس في هذا الزحام، لأنه يصعب عليهم قطع الطريق لكثرة المركبات والدراجات والحيوانات الكبيرة فتجدهم يتخللون الفرج التي ماتلبث أن تسد أمامهم لأن أهل العربات أيضاً مستعجلون، ويحتاجون إلى من يفسح لهم الطريق.

عيد هندوكي

للهنادكة في الهند أعياد متعددة، ويختلف بعضها من منطقة إلى أخرى فضلاً عن اختلافها بين ولاية وأخرى.

وقد صادفنا اليوم عيداً للهنادكة اسمه (كانيس كاتوري) لم

يستطع صاحبي أن يوضح لي الغرض منه ولكنني اعتبرت أنه من حسن حظي مشاهدته لأنه ليس عاماً في الهند كلها، بل إنه من أعياد هذه الولاية الكجراتية.

فقد رأيت حشداً من الشبان في شارع من الشوارع المزدحمة قد تجمعوا حول عربة يجرها ثور قد ركب فيها خمسة وعشرون منهم أحصيتهم عدداً وحولهم مئات بل آلاف من الشبان، وأولئك الشبان كلهم قد صبغ وجهه وثيابه بصباغ أحمر بطريقة غير منسقة، بل هي أشبه بالتلطيخ أو بالصبغ العشوائي، وهم يرقصون في الشارع ويرفعون أصواتهم بالزعيق ومظهر بعضهم مظهر الشاربين ومعهم طبل ومزمار يرقصون أحياناً على أنغامه وأحياناً دون طبل وهو رقص غير منظم.



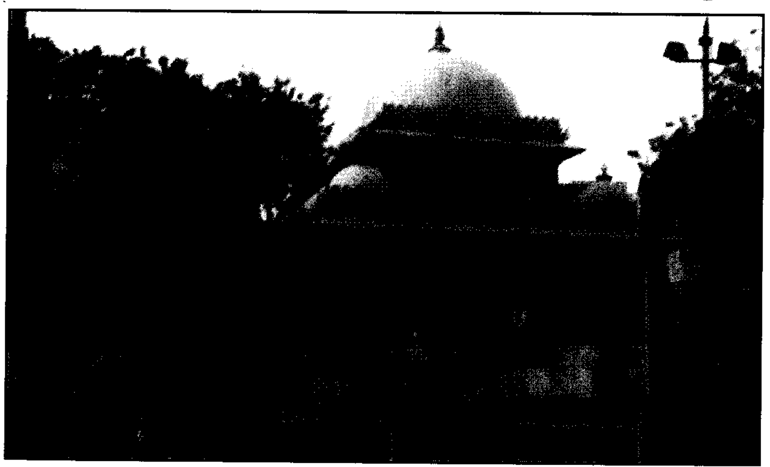
■ البعير فوقه وخلفه المحتفلون في شارع في أحمد آباد ■

وقد حاولت أن التقط لهم صورة دون أن يشعروا ولكن مرافقي نصحني بعدم محاولة ذلك خوفاً من هيجانهم لأنهم آلاف من الشبان المستهترين، غير أني حاولت التقاط الصورة ففطن لي بعضهم فاندفعوا نحوي وقد ظنوني سائحاً أمريكياً فأقبلوا وهم يضحكون وبعضهم

يرقصون وهم يوجهون لي الأوامر أن تقدم أو تأخر لتكون الصورة جيدة والتقطت صورة لهم إلاّ أنها ليست كما رغبت أن تكون عليه من الوضوح لأنهم على حالة من الفوضى ومن الشارع العام. ولكون مرافقي ذكر لي أنه يمكن الحصول على صورة أخرى لأمثالهم في غير هذا الشارع فاليوم هو يوم كانيس كاتوري وهو للهنادك في كل أنحاء أحمد آباد الهندوكية.

وعلى ذكر الكلام نقول إن اللغة الرئيسية هنا هي الكجراتية تليها الهندية التي هي قريبة من الأوردية ثم تأتي الأوردية على قلة، أما الإنكليزية فإنها لغة المتعلمين وهي منتشرة بينهم، ولكنها غير معروفة لدى جماهير الشعب.

جامع سيدي بشير



■ جامع سيدي بشير في أحمد آباد ■

وهو جامع عريق مشهور اشتهر بمنارتيه السامقتين القويتين اللتين إذا صعد المرء إلى المنارة ووقف بين رأسي المنارتين ثم هزهما بيديه وهو يعتمد بكل يد على رأس واحد من رؤوس المنارة فإن الرأسين

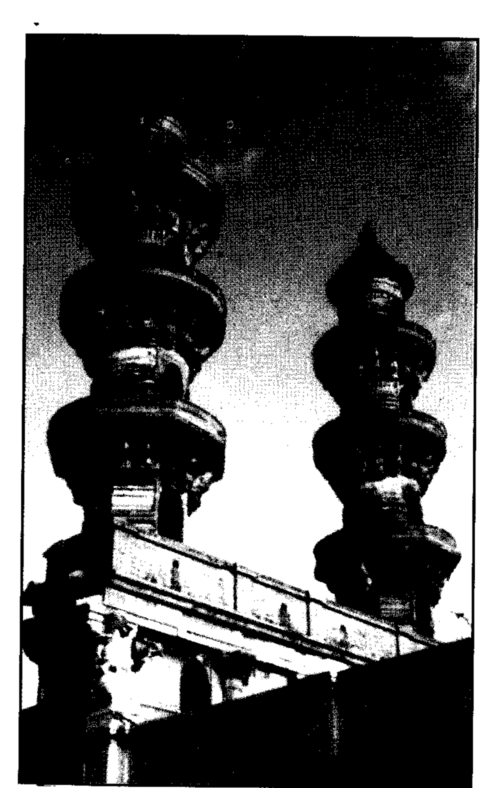
يهتزان من دون أن تتأثر المنارة هذا دأبهما من أول الدهر الذي بنيا فيه ولم يختل نظامهما مع أن بناء المنارة كان من الحجارة وليس من الأسمنت المسلح بالحديد لأن ذلك كان قبل أن يعرف الناس البناء بالأسمنت المسلح.

و(سيدي بشير) هذا هو وزير لأحد أباطرة المغول وقد قرأت تاريخ بناء المنارتين كما هو مكتوب عليهما وقد اقيمتا في عهد السلطان محمود شاه الذي ولد في عام ١٤٥٨م وتوفي عام ١٥١١م.

وهاتان المنارتان من عجائب الدهر إِذْ ذكر المؤرخون أنهما تهتزان من ذلك التاريخ كما قدمت وكان أسفي بالغاً حين وجدتهم يرممون المسجد وماحوله من المرافق يحسنونه ويعيدون ما أفسده الدهر من بلاطه أو من حائطه وهذا أمر مفرح، ولكن ذلك منعني من الصعود إلى المنارة وتجربة تحريكها بالاهتزاز، وقد حاولت أن أجد من يدلني على الطريقة التي أتمكن بها من بلوغ غرضي فلم أجد أحداً لأن الوقت ليس وقت عمل ولكن أحد المصلين ذكر لنا ذلك وقد وجدنا الناس يصلون العصر، ونحن متأخرون ولكنهم من مقلدي الأحناف المتأخرين الذين يرون تأخير صلاة العصر، وبين المصلين عدد من الضباط أظنهم من الشرطة يصلون بملابسهم الرسمية. ثم رأيت الأمام ويسمى في الهند مولانا وهو يعرف شيئاً من اللغة العربية.

وفي جهة الشرق وهي التي تكون في خلف المسجد لأن القبلة هنا جهة الغرب يوجد مدفن أظنه للسيد بشير لم يعرفه أحد منهم وفي الجهة الشمالية من المسجد مدرسة لم أر فيها طلاباً. وقد تجولت في المسجد وهو ليس كبيراً من الداخل، وقد كتب عليه تاريخ بنائه

بالإنجليزية عام ١٦٥٥م فهو إذاً أحدث عهداً من المنارتين أو هذا بناؤه للمرة الثانية.


■ منارتا جامع سيدي بشير العجيبتان ■

ورأيتهم كتبوا عبارة بدعية على المحراب وهو (يارسول الله)، وهذا أمر بدعي ينكره أهل العلم إذا كان صاحبه لايقصد معناه الحقيقي فإن قصد ذلك فإنه شرك والقوم من الأعاجم الذين لايفهمون العربية. كما كتبوا عليه إعلاناً بالأوردية (ممنوع النوم في المسجد، والموعظة فيه جائزة بلا إذن). وتحت ذلك عبارة (بيت المال كوميتي) أي جمعية (بيت المال) بمعنى اللجنة المالية للمسجد.

ويقع المسجد في حي يقطنه عدد كبير من المسلمين اسمه (سهارنغ بور) ويقولون: إن نسبة المسلمين بين سكانه تبلغ ٤٠٪.

منظر من التاريخ

خرجنا من المسجد وصرت أتمشى حوله فرأيت امرأة ورجلاً وطفلتهما جالسين على سرير من أسرة النوم بجانب البيت في الشارع

والمرأة تفلي رأس زوجها أمام الناس أي تأخذ القمل من رأسه وتقتله تعاونها الطفلة على ذلك.

والرجل والطفلة كلاهما تعلوه صفرة في اللون، وهو نحيل الجسم.

وعادة فلْي الرأس أي اخراج القمل منه وقتله عادة قديمة نسيناها فيما نسيناه من أمور كثيرة حتى أصبح أكثر أولادنا الآن حتى الكبار منهم لا يعرفونها، وحتى القمل قل وجوده في شعر الرؤوس بسبب النظافة، والأدهان الفاخرة، وإذا وجد عند بعض الناس وهم قلة فإنهم لايكافحونه بالفلي وتنقية الرأس منه وإنما يعالجونه بأدهنة وأدوية تقتله وتقتل بيضه معه.

ثم انطلقنا مع شارع مهم في الحي اسمه (سهارانغ دروازه) أي بوابة سهارنغ نمشي فيه.

كأنس كاتوري

ورأيت أن هذا العيد الذي قال لي صاحبي إن اسمه (كانيس كاتوري) ولم يزد على قوله، إنه عيد للهنادك قد صار أوسع مماكنت أتصور فرأيت حلقات من الشبان ومعهم من هم في منتصف العمر وهم يرقصون رقصاً غير منتظم على انغام طبل أو حتى على غير انغام في بعض الأحيان، والجميع قد لطخوا جباههم ووجوههم وثيابهم باللون الأحمر بطريقة غير منسقة وإنما قصد منها أن يكون اللون الأحمر ظاهراً.

ورأيت ثوراً يجر عربة يمشي الهوينا وقد امتلأت العربة بالراكبين وهم يضربون الطبول وقد رافقهم جيش من الفضوليين والفارغين ومن

مر بهم من الشبان وبخاصة منهم من كان لطخ ثوبه أو بدنه باللون الأحمر علامة على المشاركة في الاحتفال بهذا العيد انضم إليهم ورقص معهم حتى إنهم اربكو المرور، وأحياناً كانوا يوقفونه لأنهم لايتركون المجال للسيارات أن تمر ولايمكن للسيارات أن تمر عنوة من ذلك الزحام الآدمي.

وقد أخبرني أحدهم أنه عيد لآله من آلهة الهنادكة الكثيرة وإن معناه عيد الإله كأنيس لأن هذا هو اسم الإله وأما كاتوري فإنها تعني كلمة (عيد) باللغة الكجراتية.

والشيء العجيب هنا أنهم كانوا ينشدون أناشيد وأغاني بمكبرات الصوت وأحياناً يدقون الطبول من المكبر فيتضاعف صوته، وأحياناً يديرون أشرطة أمام المكبر بالغناء والقرع على الطبول فيتضاعف الإزعاج من الضوضاء التي هي طابع الشارع قبل هذه المكبرات.

ثم سرنا بالسيارة من هذا الشارع فمررنا (بدروازة) رمزية أخرى، ولاحظنا كثرة عددها إلا إذا كان ذلك لقلة الشوارع النافذة في المدينة.

وكثرت الأبقار الشهب العظام القرون في الشوارع وما أكثر أخثاءها وهو روثها إن لم تكن تعرف الأخثاء، واخثاؤها كبيرة رأيتها وهي تلقي بها في الشارع بكثرة، ولكن بعض الناس يرفعون الخثي منها بسرعة، إذا لم تقطعه عجلات المركبات ولا أدري ماذا يصنعون به ولكننا نعرف أن طائفة كبيرة من القوم في الهند يوقدون على طعامهم بالحطب وهذه الأرواث.

حي آستوريا

وصلنا إلى حي قال لي الرجل : اسمه حي استوريا، وهو مختلط السكان مابين مسلمين وهنادكة وفي هذا الحي جرت حوادث مفجعة من الاضطرابات الطائفية بين الفريقين قتل فيها أشخاص كثيرون وحرقت فيها منازل ومتاجر ولايزال الحي بؤرة لمثل هذه الاضطرابات الطائفية التي يتضرر منها الطرفان المسلمون والهنادكة غير أن ضرر المسلمين يكون في الغالب أعظم، لأنهم الأقل عدداً، وإذا تفاقمت الأمور وحضرت الشرطة فإنها تكون مع الهنادكة على المسلمين لأن أكثر الشرطة من الهنادكة. وكأنما يتشفى الهنادكة من المسلمين المعاصرين عما فعله بهم حكام المسلمين الأوائل من حكم هذه البلاد دونهم، رغم كون المسلمين كانوا ولايزالون أقلية عددية.

زرنا في هذا الحي مسجد (راني سوبري) بناه الأمير هامستا باستا أي الأمير باستا. وبجانبه بناء معتنى به تعلوه قبة عربية فخمة، ذكروا أنه مزار وليس تابعاً للمسجد، وقد أخبرنا بذلك أحد التجار الذين لهم حوانيت مقابلة للمسجد.



■ مسجد راني سوبري في أحمد آباد ■

وموضوع المزارات والمشاهد على القبور في هذه الولاية التي كان يحكمها المسلمون ثم انحسر سلطانهم عنها موضوع محزن لأنه قد اجتمع على المسلمين الضعف في السياسة والضعف في العقيدة حتى ليصعب على الباحث غير المتعمق أن يعرف أيهما كان نتيجة للآخر.

ثم مررنا ببناء جميل على الطراز الإسلامي في عقود عربية جميلة وقد كتبوا عليه (انجمان هاي سكول) أي مدرسة الجمعية الثانوية ووصف (هاي اسكول) يطلقونه على المدرسة الثانوية العامة أي التي تدرس المواد العامة كالمنهج الحكومي مثلاً، وتضاف إلى ذلك مواد الدراسة الإسلامية بمقادير قليلة إذا كان القائمون على المدرسة مسلمين كما هو الحال بالنسبة إلى هذه المدرسة.

أما إذا كانت المدرسة تقتصر على تدريس العلوم العربية والموضوعات الإسلامية فإنهم يطلقون عليها اسم (جامعة) ولو كان مستواها متوسطاً أو ثانوياً.

وقد قابلنا جماعة من المحتفلين بعيد كانيس كاتوري كما يسمونه والعجيب في أمرهم أنهم قد ركبوا على عربة يجرها بعير وهي تحمل مكبرات الصوت التي تصم الآذان مما جعل صوتها يعلو على الأصوات الأخرى ويلفت إليها أنظار عدد من الشبان الذين كانوا قد لطخوا ثيابهم ووجوههم باللون الأحمر، وبعضهم عليهم عصائب حمر إظهاراً لتمسكهم باللون الأحمر. وكان طائفة من الشرطة يماشون عربة البعير والجماهير التي كانت قد أحاطت بها وتقدمتها طائفة منهم، وذلك من أجل المحافظة على الأمن في مثل هذه التجمعات التي ربما كان بعض من حضروها قد شربوا الخمر فانتشوا أو أنهم في نشوة من نشوات الصبا والشباب أو من كليهما

كما قال الشاعر :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة مـن به سكران؟

وقد مكنني وجود الشرطة مع عربة البعير من تصوير العربة دون خوف من هياج الجموع الغفيرة التي لايأمن المرء هيجها لأنه لايستطيع أن يشتكي من فرد بعينه كما قال أسلافنا العرب القدماء: «ليس لقتيل الهوشات قود» والهوشات : جمع هوشة وهي الاقتتال والاضطراب.

وقد تبين لي بعد التجربة أن خوفي منهم لم يكن في محله إذ صار بعضهم يوقفونني عن التصوير بغلظة وفظاظة من أجل أن يرقصوا فتكون الصورة أكثر تعبيراً لا من أجل المنع من التصوير.

وقبل أن نختم هذه الكلمات نقول: إن من أهم المزايا في الهند أن الغريب في أية مدينة من مدنها يشعر أنه آمن على نفسه وماله أكثر مما يشعر في مدن كثير من الدول الراقية كالولايات المتحدة.

ولذلك يكون من نافلة القول أن أنوه بأن الأمن للغريب مستتب في مدينة (أحمد آباد) هذه.

جسر أليس

اجتزنا جسراً آخر مقاماً على النهر الجاف نهر (صابر متي) ويسمى (أليس برج) أي جسر أليس، وهذا اسم انكليزي لأن الجسر أنشئ في عهد الحكم الإنجليزي وكان إنشاؤه منذ حوالي مائة سنة، وبقربه معبد هندوكي بني على مثل الطراز الذي تبنى عليه المساجد ولكن بدون منارات.

ثم تمشيت على قدمي فوق الجسر الذي يعلو النهر الجاف الذي خلا من الماء إلا مناقع قليلة على حافتيه بعضها خارج من بيوت

مجاورة ترى وهي متطامنة لأن الجسر عال فوق مجرى النهر والبيوت على ضفة النهر.



■ مجرى نهر صابر متي (صورة من فوق جسر أليس) ■

وتلك البيوت التي على ضفة النهر أكثرها مبني بالطين وبعضها كالأكواخ ذات مظهر سيء.

ومن العجيب أنني رأيت طائفة من المحتفلين بهذا العيد الأحمر وهم يسيرون في أرض النهر الجاف خلف عربة.

في مطعم للمسلمين

داهمنا الليل حينما احتجبت الشمس خلف البيوت وحل الظلام بسرعة، وكنت أؤمل أن استفيد من ضوء النهار.

فقصدنا مطعماً من مطاعم المسلمين اسمه (موتي محل) وجدناه مزدحماً في شارع أكثر إزدحاماً بالسيارات وعربات الركشا والدراجات والحمير الواقفة.

وإلى جانب البقر الرابض الذي لايكاد يخلو منه شارع من شوارع المدينة. ودخلنا المطعم الذي هو راق نظيف مكيف تكييفاً

جيداً، هاديء ذكرت عندما استقرينا فيه مايفصلنا عنه بابه من الشارع الصاخب المزدحم فطرأت على ذهني الآية الكريمة: ﴿ **فَضُرِبَ بينهم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [**الحديد**: ١٣] وحتى رواده فإنهم من ذوي الثراء أو المتعلمين نظيفوا الثياب، يتحلون بأدب جيد.

وتعشينا عشاء جيداً رخيصاً لولا وجود الفلفل فيه رغم كوننا طلبنا منهم ألا يضعوا فيه الفلفل وأنهم ذكروا لنا أنهم لن يضعوا فيه شيئاً منه.

ولكن هكذا هم في الهند إذا طلبت منهم ألاّ يكون في الطعام فلفل، وأجابوك إلى ذلك فإنك تجده فلفلاً كثيراً أما إذا قالوا: إنه قليل، فإنك تحسه ناراً تأجج.

وقد شكوت الأمر إلى صاحب مطعم في دلهي فأجاب: لايمكن أن تجد طعاماً هندياً ليس فيه فلفل ولكن إذا كنت لاتطيق الفلفل وكنت في فندق كبير فاطلبهم أن يحضروا لك طعاماً أوروبياً فقد يكون خالياً من الفلفل والبهارات.

ثم عدنا إلى الفندق ولكنني أردت صلاة العشاء جمعاً مع المغرب لأنني لم أكن صليت المغرب في مسجد صغير قرب الفندق فوصلناه قبل الأذان ووجدت امرأة مضطجعة على سرير ومعها بنية لها والمرأة تمضغ التنبول، وذلك في الشارع خارج المسجد فكلمهم السائق (محمد إمام) الذي هو الدليل أيضاً، فنهضت المرأة مسرعة وهي لاتكاد تقوى على النهوض من فرط الهزال والكلال. ونادت زوجها المؤذن فسلم علينا دون أن يعرف شيئاً من العربية ثم دخل المسجد وأذن للصلاة.

يوم الاثنين: ١٤٠٨/١/١٤هـ - ١٩٨٧/٩/٧م

العودة إلى الجولة

ابتدأنا الجولة في الثامنة والنصف صباحاً مع الأخ السائق الدليل (محمد إمام) وبسيارة الأجرة التي معه وهو يعرف قدراً لا بأس به من العربية فأسرعنا إلى اختراق حي (خان بوره) الذي كنا فيه وصورت الدروازة أو البوابة التي فيه.

ثم لفت السائق انتباهي إلى صف من الفتيات قال إنهن من الهندوكيات، ولولا ذلك لظننتهن مسلمات لأنهن يلبسن لباس المسلمات، ولسن على قدر كبير من السمرة. وقال لي الأخ (محمد إمام) كما قال غيره قبله: إن كثيرات من الهندوكيات المتعلمات أخذن يقلدن المسلمات في لباسهن، وذلك لأن اللباس الهندي التقليدي الذي كن يلبسنه ثقيل وغير رشيق.

أما لباس المسلمات فإنه جميل وخفيف وهو إلى ذلك وطني وجد في الهند وتلبسه المسلمات والسيخيات لأنهن في الأصل من الشماليات.

ثم قطعنا جسر نهرو على نهر (صابرمتى) الجاف فوقعنا بعده في الشوارع المزدحمة بالدراجات والعربات والأناسي والحيوان.

وقد تلوث الجو من دخان الحافلات وعربات الركشا حتى أحسست بوجع في حلقي من ذلك التلوث وتمنيت أن أتنفس هواء نقياً كما كنت أفعل في الرياض.

ولباس أكثر النساء في هذه الشوارع هو الهندوكي التقليدي الذي وصفته أما الرجال فإن أغلبهم يلبس اللباس العالمي المسمى بالأفرنجي ولكنه مخفف يقتصر على قميص دون كمين وسروال.

وبعض الهنادك يلبسون اللباس الهندوكي التقليدي القديم وهو فوطة يصر بها اللابس مؤخرته صراً، وتفتح من الأمام إلى أعلى الفخذ وفوقها قميص واسع.

في حي بال دي

وهذا الحي يقطنه الهنادكة ويقع على يمين شارع اسمه آشرم رود. وهو مزدحم والسائق يلح ببوقه على الناس والسيارات حتى تضايقت أنا من ذلك ونهيته فذكر أن الناس هنا متعودون على ألا يبعدوا عن طريق السيارات إلا إذا سمعوا البوق، ثم ان الضوضاء في الشارع تجعلهم لايشعرون بوجود السيارات خلفهم إلا إذا أطلق السائق لبوقه العنان.

فقلت له: هذا صحيح، وهو مالاحظته غير أن القول هو: لماذا يمشي الناس في وسط الشارع وبين السيارات والمركبات ولايمشون علي الأرصفة ويتركوا نهر الطريق للسيارات؟

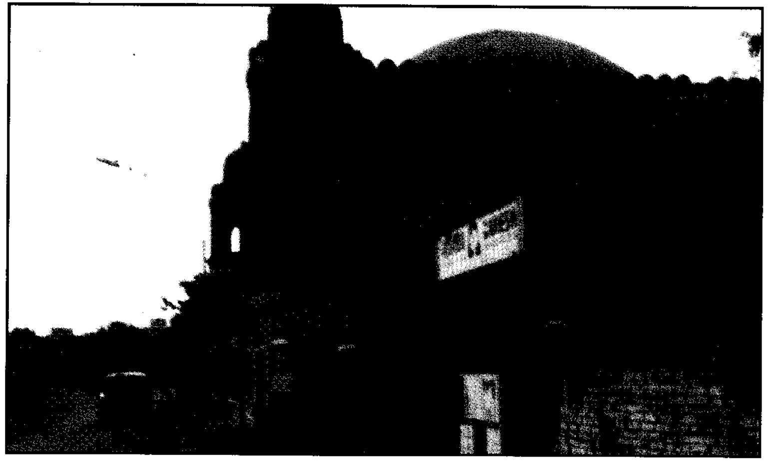
فقال: الأرصفة لاتتسع لهم، وهم لايبالون بذلك، ولايجدون من يحملهم عليه.

ثم مررنا بمشهد من المشاهد وهو ما أسماه السائق المسلم (مزاراً) ومعناه بناء مقام على قبر من القبور، يزار ويتبرك به ووجدنا حوله شخصين قالا للسائق: لاينبغي أن تجعله يدخله ولا أدري السبب في ذلك، ألخجلهم من وضعه لأنهما لايريدان أن أرى الخرافات وهذا بعيد، أم لخجلهم من كونه داثراً بائراً كأنه مهمل ولايريدان أن يرى الأجنبي هذا المنظر لأثر ظناً أنه من الدين.

ولكن تبين أن الحكومة قد حسمت الأمر فأغلقته، وعلقت عليه

لافتة تقول: « هذا أثر من الآثار القديمة يمنع تخريبه.

وقد رأيت مافي باطنه من خلال بابه فإذا به خمسة قبور مجللة ببسط وفرش. وهو قبر لشخص اسمه (أعجم عظم) يزعمون أنه ولي من أولياء الله. وبجانبه قبر امرأة يسمونها (أُمَّا بيبي) أي الزوجة أما وذكروا لي أن معنى أما (المعلمة). وقد رفعت القبور بمقدار الشبر عن وجه الأرض، ولكن البناء فوقها مرفوع بمايعادل طبقتين من البناء المعتاد وهو مبني على طراز عربي وبجانبه مشهد آخر لم استطع الاقتراب منه لأنه داخل بناء كالسور لايسهل الاقتراب منه.



■ مشهد مغلق في أحمد آباد ■

وهكذا اجتمع على مسلمي هذه الولاية الخرافات والبدع في الدين، والبعد عن العمل بالعقيدة السلفية الصحيحة، وقد ألفوا هذه البدع والخرافات حتى حسبوها جزءاً من الدين وظنوا أن محاربتها محاربة للدين وصار أهل الحديث الذين ينادون فيهم بنبذ البدع والخرافات والأمور المحدثة في الدين والعودة إلى ماكان عليه الرسول الكريم ﷺ والسلف الصالح صاروا يعدونهم من المنحرفين الوهابيين

على حد زعمهم وهم يطلقون هذه الألفاظ عليهم من باب التشنيع والتنفير منهم دون أن يبحثوا مايدعون إليه ويزنوه بميزان الحق من الكتاب والسنة.

وقد شجع العامة على ذلك نفر من المقلدين الجامدين من طلبة العلم الذين رأى بعضهم في الدعوة السلفية مايخالف ماكان عليه آباؤهم وأسلافهم، ورأى بعضهم فيها مايحول دون استمرار الأكل من أموال الناس بالباطل التي ينذرونها لأهل هذه المشاهد أو يتقربون بها إلى الله بوساطتهم، أويطلبون من أولئك الضلال من طلبة العلم أن يفعلوا ذلك نيابة عنهم.

أو حتى يرى بعض المنتفعين المنتسبين لطلبة العلم في الأوقاف والوصايا التي توقف على خدمة هذه المشاهد أو للقائمين على المساجد التي بنيت على القبور والأضرحة، أنها أمر مشروع، أوعلى الأقل مباح لاغبار عليه.

ضواحي المدينة

خرجنا من المدينة متجهين جهة الغرب منها فوقعنا في أماكن ريفية ذات مزارع صغيرة وجدنا في ميدان منها غير مزروع عدداً من الخيام المهلهلة قال الأخ (محمد إمام) إن سكانها كلهم مسكين أي مساكين وهم فيما أظن من فقراء الريف اللاجئين إلى المدن وعندهم صنبور ماء رأيتهم يستقون منه.

ثم وقفنا في حي اسمه (جورا بوره) قال المرافق الأخ محمد إمام: إن فيه مسلمين كثيراً ولابأس بمظهره وهو متفرق البيوت وأكثر بيوته منفردة أي ليست من الأبنية المتعددة الطوابق.

ورأينا في الريف وفي هذا الحي اعداداً متزايدة من العربات التي تجرها الإبل وتنقل عليها البضائع والأمتعة الثقيلة من الريف إلى المدينة .



■ الطريق خارج أحمد آباد ■

والحيوان في هذا الريف غير الإبل التي تجر العربات والبقر المعتاد (سرح) من الغنم البيض وهي العدد من الغنم الذي يذهب به راعيه إلى المرعى وكلها ذات لون أبيض إلاّ رؤوسها فهي سود . وهي صغيرة الحجم ذكر لي الأخ المرافق أن ثمن الواحد منها حوالي (٤٠٠) روبية أي مائة ريال سعودي تقريباً .

وقد وقفنا في مطعم أهله مسلمون، ووجدنا أكثر الذين فيه من المسلمين وأخبرنا العامل فيه أن الهنادك يأكلون فيه ويشربون الشاي واسمه (سمرات هوتيل) أي مطعم سمرات فكلمة هوتيل قد تعني في الهند (مطعماً) .

والمارة هنا مختلطون مابين الهنادكة والمسلمين والذي يميز الهنادكة المتمسكين بالقديم هي هذه الفوط التي يشدون بها أعجازهم

بقوة وهي قصيرة مفتوحة من جهة إِحدى الرجلين إِلى أعلى الفخذين كما تقدم.

طلبنا كوبين من الشاي احدهما (سليماني) ومعناه: الشاي الخفيف الذي لايوضع عليه الحليب. فجاء العامل بها بعد تباطئ رغم الحاحنا عليهم بالسرعة مما جعلهم يضحكون منا لأن الوقت عندهم ليست له الأهمية التي له عندنا.

ولم استطع شرب الشاي الذي أحضره لي بسبب ثقله بالشاي والسكر مع أنه خفيف بالنسبة إِليهم فتركته، وتقاضى المطعم روبيتين ونصفاً للشخصين وذلك أكثر من نصف الريال بقليل، لأن الريال يساوي أربع روبيات كما تقدم.

مشهد في السوق

واصلنا السير في هذا الطريق القروي فوصلنا إِلى سوق على الطريق يلاصق القرية، فكان أعجب مارأيته قبراً بجانب الاسفلت على الشارع العام وخلفه الحوانيت والبيع والشراء وليس عليه بناء وإِنما هو يكاد يكون لاصقاً بالأرض ولكن عليه خرق وأعواد مرفوعة ملونة لكي تلفت أنظار الناس إِليه وهي على هيئة الكلة أي الناموسية وقالوا لي: انه لأحد الأولياء أو قال بعضهم أحد الصالحين المسلمين دفن في هذا المكان الذي لايصلح للدفن لكونه سوقاً للبيع والشراء وعلى قارعة طريق يذهب إِلى عدة بلدان تطرقه السيارات والمركبات في أكثر ساعات الليل والنهار.

تركنا الأسفلت العام الذي عنده القبر العجيب الموضع، وانحرفنا جهة الشمال فدخلنا فجأة في حي اسمه (سركيز) قالوا: إِنه من

أحياء المسلمين وكان أول مارأينا في هذا الحي نهراً جافاً ليس فيه إلا مستنقع من سيل ذكروا انه وقع قبل ثلاثة أيام فيه أطفال يسبُحون وعنده نساء يغسلن الملابس وبعض النساء ينقلن الماء منه إلى البيوت.

جامع السلطان محمود بيقرا

هذا جامع عظيم يقع في حي (سركيز) هذا ويبعد عن مدينة أحمد آباد بـ ١٢ كيلومتراً حسبما قاله السائق.



■ داخل جامع السلطان محمود بيقرا في سركيز ■

وكان مجيئنا لرؤية هذا المسجد العظيم غير أننا رأينا عنده أشياء لم تكن تخطر لي على بال منها.

أننا رأينا نساءً مسلمات ذات وجوه وضيئة وملابس نظيفة وهن يفرغن أواني كثيرة كبيرة وصغيرة من صحون وقدور للطبخ وتقديم الطعام من سيارة شحن صغيرة فأردت أن أسألهن عن الغرض من هذه الأواني، فأعرضن بوجوههن كالخجلاتِ وابتعدن. فتلطف الأخ (محمد إمام) بعد أن أبعدت عنهن قليلاً وسألهن عن الغرض من

هذه الأواني.

فقلن إنها أوان لطبخ طعام كثير عند مشهد الشيخ (أحمد ولي) هذا الملاصق للمسجد وكلها تبرع بها وبنفقات الطعام الذي يكفي لنحو خمسمائة آكل شخص واحد وذلك للذين سيزورون قبر الشيخ هذا يوم الخميس القادم.

مشهد الشيخ أحمد ولي

ودعانا هذا الكلام إلى رؤية هذا المشهد الذي معناه البناء المشيد فوق قبر من القبور التي تقصد بالزيارة والتقرب إلى الله عندها، وبعض الجهال يقصدونها للنفع أو لدفع الضر.

يقع المشهد في ركن خلفي من المسجد أي في الجهة المعاكسة للقبلة وهي هنا جهة الشرق ويوصل إليه من بوابة كبيرة تفتح على رواق هائل للمسجد يعطف الداخل جهة اليمين أول مايدخل فيرى باباً مغلقاً يفضي إلى الضريح الذي فيه القبر الذي رأيته مجللاً بالستور ومرفوعاً إلى نصف قامة الرجل، وفوقه قبة هائلة من الحجارة المنقوشة ذات طيات متعددة دائرة مع دوران القبة من الداخل.

ولاشك في أنها قد احتاجت إلى نفقة عظيمة ولكن لاغرو في ذلك لأن الذي بناها هو السلطان (محمود بيقرا) سلطان أحمد آباد ومايتبعها من ولاية كجرات. لأن صاحب القبر وهو الشيخ (أحمد ولي) هو شيخ السلطان فكأفأه السلطان على ذلك بأن بنى له هذا الضريح الذي يحتمل وزر بنائه على طريقة تخالف ماجاء عن الرسول ﷺ وماجاء عن السلف الصالح من تحريم البناء على القبور، ومن رفعها ومن وضع الستور عليها، فضلاً عما صار يفعل عندها من البدع

والمنكرات المحدثة في الدين.

وإذا كان شيخه المدفون (أحمد ولي) قد رضي بما فعله السلطان من أجله فإنه يتحمل نصيبه من الوزر وهو المفروض فيه أنه شيخ يعرف الأحكام الشرعية أكثر مما يعرفها السلطان.

فقد قيل لنا: إن السلطان بنى هذا الضريح والمسجد في حياته، وربما كان المراد بذلك الضريح الذي أعده السلطان لنفسه الذي سيأتي الكلام عليه وليس هذا الضريح الذي دفن فيه شيخه فقد يكون بنى ضريح شيخه بعد وفاة ذلك الشيخ كما هو الظاهر.

كرامة مادية

من الحيل التي وضعت في هذا الضريح وقد حشدت له الامكانات المالية والمادية الحكومية مالم يحشد لغيره من أمثاله أنهم وضعوا على القبر علبة من الذهب ووضعوا عنده أشياء أخرى ثمينة وكان باب المقبرة لايغلق في أول الأمر ولحمايته من اللصوص وضعوا سلسلة عظيمة تتدلى من السقف فوق القبر مباشرة حيث يوجد الذهب وبعض الأشياء الثمينة وجعلوا في السلسلة العظيمة مغناطيساً قوياً فإذا دخل لص للمقبرة وصعد فوق القبر لأخذ ذلك الذهب صار في مجال جذب المغناطيس، فمسه المغناطيس بقوة عظيمة وربما أمسك به كما قال السادن، فيعتبرون ذلك كرامة لهذا الشيخ الدفين، صدق بها كثير من الناس.

إلاّ أن سادن القبر واسمه (شيخ عبدالرحيم) قال لي: لقد تغير الأمر الآن فالذهب لم يعد موجوداً فوق القبر، والمقبرة صارت تغلق الآن عندما يكون السادن -يعني نفسه- غير موجود.

وعندما سألته عن عمله هنا، أجاب بهذه اللفظة التي دخلت الأوردية من العربية: (مجاور) يريد مجاورته لهذا القبر.

وقد تكلمت بشئ ربما لم يسمع به من قبل أو ربما لم يسمع إلا بقليل مثله، وهو أن صاحب القبر بعد موته لاينفع ولايضر وإنما هو إنسان قد انقطع عمله من الدنيا بعد موته إلا إذا كان قد خلف الأشياء الثلاثة الواردة في الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أوعلم ينتفع به**» (رواه مسلم).

لذلك فإن صاحب القبر بحاجة إلى عمل الأحياء الذي ينفعه مثل الصدقة عنه، والدعاء له. وليس الأحياء بحاجة إلى نفعه وضره، لأنه لايستطيع ذلك إذ النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى.

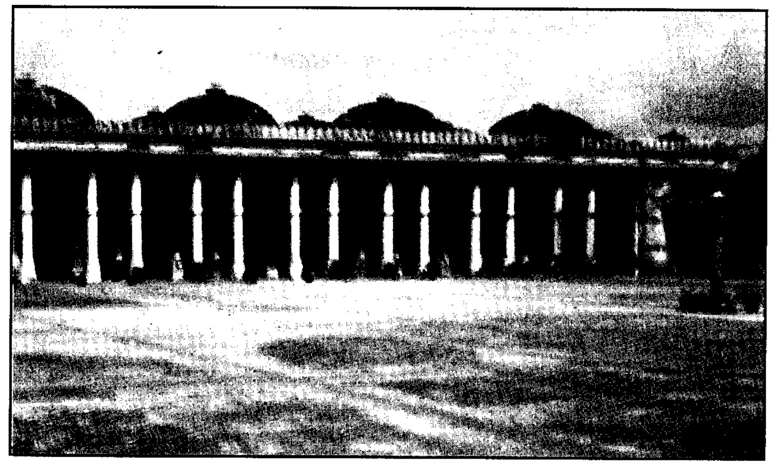
فقال لي السادن أو المجاور - على حد تعبيره - بخجل واستحيا: إن أكثر الناس يدعون الله عند هذا القبر فقلت له: ينبغي أن نخبرهم أن الأولى أن يدعو الله سبحانه وتعالى في محراب هذا الجامع الكبير، وبخاصة أن بعضهم يأتون لهذا القبر من مسافات بعيدة لأن الحي الذي يقع فيه صغير قليل السكان فينبغي أن يوضح لهم أنه خير لهم وأقرب لاستجابة دعائهم أن يكون في مسجد من المساجد الخالية من القبور وأن يدعوا الله تعالى بقلوب حاضرة موقنة بالإجابة. كما قال تعالى، ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [**غافر**: ٦٠] ثم قال لي: إن الناس يسألون حاجاتهم هنا بعضهم يسأل صاحب القبر وبعضهم يسأل الله تعالى قضاء حاجته عند هذا القبر لأن صاحبه ولي من أولياء الله تعالى. فقلت له: إنك إذا لم تبين لهم أن سؤال

الحاجات من الموتى والمقبورين دون الله تعالى هو شرك صريح لأنه من الدعاء الذي لايجوز أن يكون لغير الله. فإنك تكون آثماً ولكنه سكت ولم يجادلني ولا أدري أقتنع بكلامي أم لم يقتنع به.

المسجد العظيم

وعظمته التي شاهدتها هي في سعة مساحته، واتقان بنائه والنفقة الكبيرة التي بذلت في ذلك.

فقد كان – على اتساعه – مبنياً كله بالحجارة المنقوشة المهذبة التي إذا رأيتها خيل إليك أنها قد لانت في أيدي نقاشها حتى صارت في لين الطين، حتى شباك النوافذ في بعض المواضع هو من نوع الحجارة المنقوشة مما يجعل المسجد يستحق الزيارة لهذا السبب، ولقدمه وكون الصلاة في المسجد القديم أفضل منها في المسجد الحديث، ولكن معظم المسلمين هنا قد انصرفوا – مع الأسف الشديد – إلى زيارة المشهد الموجود بجانبه الذي تقدم ذكره. وأعظم مايلفت النظر سعة أفنيته الخارجية وهي الأماكن المكشوفة فيه تحيط بها أروقة المسجد ذات العمد الحجرية المتعددة.



■ صحن جامع السلطان محمود بيقرا ■

وهذه عادة من عادات بناء المساجد في العصر المغولي في الهند، وربما كانت موروثة وهي توسعة الباحات الداخلية للمساجد وتبليطها بالحجارة حتى تتسع لآلاف المصلين في المناسبات الجامعة كصلاة الجمعة والعيدين.

وبجانبه بركة عظيمة الاتساع يجلب إليها الماء من النهر الجاف، عندما كان ماؤه جارياً أو من سيل واديه إذا سال. وهذه أيضاً عادة لبناة المساجد من الملوك والأثرياء في الهند أن يجعلوا بجانب المسجد بحيرة للوضوء يتوضأ منها الناس ويتفرجون برؤية المياه التي تكون فيها، والتي يفترض أنها لاتخلو منها طوال العام، لأن الأمطار الموسمية تأتي في مواعيد ثابتة وهي غزيرة، ومستوى الماء تحت سطح الأرض يكاد يكون ثابتاً في السنوات المعتادة. لذلك يحفرون حتى يقربوا من مستوى الماء في جوف الأرض، ثم يسحبون لها فرعاً من نهر أو من وادٍ يسيل في وقت الفيضان.

ولهذه البرك الأرضية وقد سميتها في الأماكن المتسعة بحيرات لمعظمها أغراض وفوائد أخرى، فالناس كانوا يأخذون منها الماء إلى بيوتهم ويشربون منها رغم كون مائها غير نظيف من الناحية الصحية حتى إن بعضها لون الماء فيها يكون متغيراً إلى اللون الأخضر في غير فصول الأمطار.

أما البحيرة الكبيرة هذه التي تقع إلى الجنوب من جامع (محمود بيقرا) هذا فإنها جافة تماماً، إلاَّ من منقع ماء ذكر لي الدليل أنه من مطر قليل كان قد سقط عليهم قبل أيام.

وكما جف ماء البحيرة وصار أثراً بعد عين فقد خرب قصر للسلطان كان بناه بجانب هذه البحيرة للتنزه بمرآها والبقاء بجانب الماء

فترة من الزمن وقد كانت البحيرة مقصداً للملوك الذين جاؤا بعده يقيمون في ذلك القصر للراحة والاستجمام.

غير أن القصر وأهله بادوا الآن والمحزن أن مجد المسلمين باد معهم ولا أمل في عودته إلا أن يعود المسلمون إلى الأخذ بالعقيدة السلفية الصحيحة وإلى الأخذ بأسباب القوة المادية أيضاً إلى جانب القوة المعنوية لأن الأخذ بالأسباب من أقوى الوسائل للحصول على النتائج الطيبة وهذه سنة الله في خلقه ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ [**الأحزاب**: ٦٢].

والتقطنا صورة في محراب الجامع الذي زخرفوه زخرفة متوسطة وكتبوا فوقه الشهادتين (لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله).

ومن الأشياء غير الشائعة في المساجد في الهند ورأيتها هنا أنهم جعلوا في مقدمة المسجد عند أول درجٍ المنبر دكة مرتفعة قليلاً تشبه المسرح الصغير ذكروا أنها مخصصة للقراء الذين يقرأون القرآن في المسجد.



■ المؤلف في محراب جامع السلطان محمود بيقرا في سركيز ■

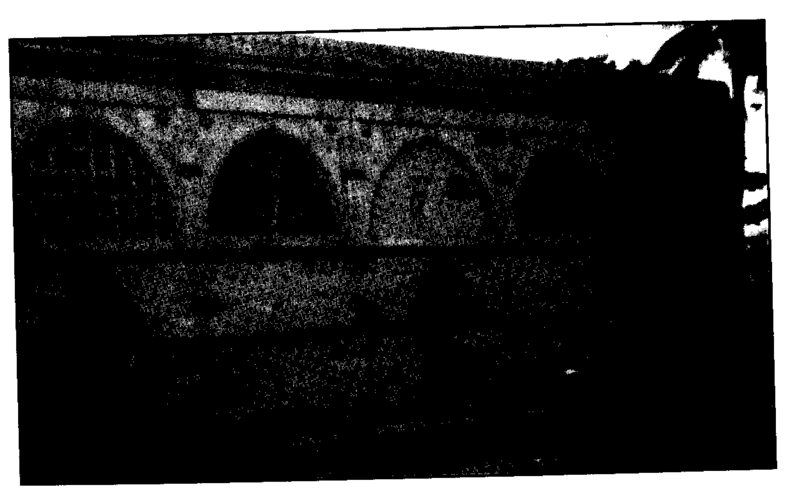
وربما كانت أيضاً للصوفية الذين يتلون الأذكار لأن شيخ السلطان (محمود بيقرا) المدفون قرب المسجد كان صوفياً كما علمت من شخص رأيته في غرفة في مقدمة المسجد ذكر لي أن هذا الشيخ صوفي وأنه شيخ للسلطان وقال : أكثر الذين يأتون إلى قبره يسلمون عليه ولايفعلون أكثر من السلام وقراءة الفاتحة. ولكن بعض الجهال يسألونه حوائجهم، وقال: إنه في يوم الخميس بالذات يجتمع عند قبره أكثر من ألف شخص.

وذكرني ذلك بالآنية من القدور والصحون التي أعدت لطبخ طعام لعدد غفير من الذين يأتون للقبر.

أما هذا الشخص فإنه مثقف في الخمسين من عمره ذكر أن اسمه (رسول خان كاتب) وأنه هو ناظر المسجد. وقد وضع صندوقاً للتبرعات في مكتبه.

قبر السلطان محمود بيقرا

عند التجول في المسجد قادنا ذلك إلى بناء متصل بالمسجد ولكن يدخل إليه بباب من رواق المسجد استقبلنا فيه رجل ذكر أنه



■ السور الخارجي والنوافذ والتزيينات في جامع السلطان محمود بيقرا كلها من الحجر المنقوش■

مسؤول عنه. وأنه يضم قبر السلطان محمود بيقرا باني هذا المسجد والقبر الذي دفن فيه شيخه، كما بنى أيضاً هذا المكان الذي أعده لكي يقبر فيه بعد موته. والضريح واسع عليه قبة كالتي على قبر شيخه الصوفي ذات طيات مستديرة واسعة في أسفل القبة ثم تضيق كلما ارتفعت القبة حتى تتلاشى عند النقطة العليا منها.

وقد اعتنت إدارة الآثار بهذه الأشياء على اعتبار أنها من الآثار القديمة فكتبت لوحة عند مدخل الضريح الواسع بالإنكليزية:

(هذا قبر السلطان محمود بيقرا – ٨٦٣هـ – ٩١٢هـ وقبره هو الأوسط وبجانبه قبر ابنه السلطان (مظفر شاه) ٩١٢هـ ٩٣٢هـ.

وبجانبهما قبر السلطان (شاه زاده خليل خان) ٩٤٣هـ – ٩٦١هـ.

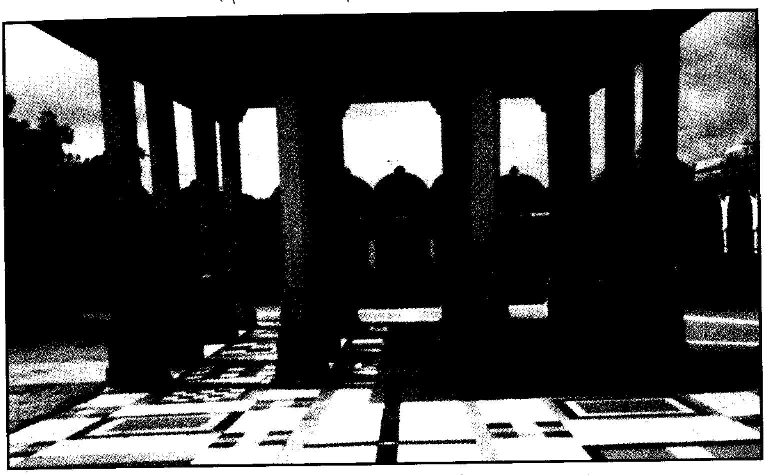
ونصت الكتابة على أن هذا الضريح بني في حياة السلطان ليكون قبراً له.

ثم عدت إلى الجهة التي فيها قبر الصوفي الشيخ أحمد شيخ السلطان محمود بيقرا التمس نصاً مكتوباً حول قبره يعرف به لأن الدليل (محمد إمام) وعدداً من كبار السن الفقراء لم يروني شيئاً من ذلك فوجدته مكتوباً على المدخل الخارجي في لوحة حكومية:

(هذا قبر الشيخ أحمد خاتو وصل كجرات عام ١٣٩٨م وبقي في (سركيز) هذه وكان أحد أربعة أحمدين – أي أشخاص كلهم يسمى بأحمد – الذين أوجدوا مدينة أحمد آباد في عام ١٤١١م، والسلطان أحمد شاه الأول – ١٤١١م ١٤٤٢م:

أقول المشهور أن مدينة أحمد آباد منسوبة إلى السلطان أحمد شاه. ثم قال النص: والسلطان محمود بيقرا بنى الضريح والمسجد

لذكره شيخه هذا مابين عام (١٤٥١م و١٤٥٨م) .



■ مظلة في وسط الفناء المكشوف في جامع السلطان محمود بيقرا في سركيز ■

وغادرنا سركيز وأنا آسف على كون المسلمين في هذه البلاد قد تمسكوا بعمارة القبور وتعلقت قلوبهم بها على حين أن أعداءهم من الهنادكة يبنون المصانع التي بعضها مصانع أسلحة أعدت لقتل المسلمين في باكستان وغيرها .

ولذلك عندما قال لي السائق الدليل (محمد إمام علي رزاق) إننا نمر ببناء كبير على قبر إشمأزت نفسي ولم استطع حتى الوقوف عنده رغم كونه ذا قبة عالية مميزة .

ورأينا في طريق العودة إلى (أحمد آباد) أشياء ربما تستحق التنويه ومنها محلة صغيرة فيها حفرة فيها ماء قد تغير حتى صار لونه أخضر وبعضهم يغسل فيه ملابسه .

ثم ماء معد للشرب بالمجان (سبيل) على قارعة الطريق ولا أدري من الذي وضعه أهو من المسلمين أم من الهنادك .

ورأيت سوقاً في الطريق قال لي الأخ الدليل إن أكثر التجار فيه

من المسلمين وقد وضعوا عليه خيوطاً من خيوط الزينة ربما لكونه جديداً كما رأيناه وهو منفصل عما عداه أي هو سوق مستقل.

ورأينا على الطريق عربة محملة بالآجر يجرها صبيان إثنان وتدفعها من الخلف امرأة تساعدهما بذلك على جرها.

وطائفة من النساء قد اجتمعن على صنبور ماء في الشارع يستقين منه الماء لبيوتهن وبعضهن معهن أطفالهن، وذلك لصغر الأواني التي يحملنها.

وبهذه المناسبة رأيت الأطفال الصغار حديثي الولادة معهن فتكرر عجبي من صغر أحجام أولئك الأطفال، رغم كون أمهاتهم ذوات أجسام متوسطة أو حتى نحيلة ولكنها غير قصيرة مما لم أر له مثيلاً في أنحاء كثيرة من العالم.

ومن الطريف من أمر بيوت لا طرافة فيها لأنها بيوت قوم من الفقراء قد سقفت بالصفيح، ولكنهم وضعوا فوق السقوف عدداً من الحصا الثقيل من أجل أن يحفظ السقوف عن الزوال وبخاصة إذا هبت الريح. وكأنهم استعاضوا بهذه القطع من الحصا عن المسامير.

وأرجو أن لايسارع القاريء الكريم فيظن أن أكثر بيوت مدينة (أحمد آباد) مثل هذه لأن الواقع أن أكثر البيوت فيه جيدة وبخاصة داخل المدينة فهي من أبنية متعددة الطوابق عالية أو من بيوت منفردة مؤلفة من طابق أو طابقين، وإنما نذكر ما رأيناه مما استغربناه وننبه على كونه ليس بالشائع.

ومن ذلك أنني رأيت حمالاً واحداً يسحب عربة محملة يجرها إطاران غليظان وهو يجاهد في جرها ولا معين له.

والشيء الملفت للنظر هنا قلة الشحاذين في هذه المدينة أحمد

آباد قلة عجيبة لأن الهند مشهورة بأنها بلاد الشحاذين الملحفين، وبخاصة (بومبي) مثلاً التي يعرض (الشحاذون) الزمنى والمجذومون عاهاتهم على الناس ويحاولون أن يمسوهم بأيديهم يلاحقونهم بذلك، حتى يجزع المسؤول، ويعطي السائل شيئاً يدفعه به عنه.

يمدح فندقه

اسرعت بالمرور على مكتب شركة الطيران الهندية المحلية المسماة (إنديان ايرلاين) وحجزت معها إلى مدينة (جيفور) عاصمة ولاية راجستان التي تقع إلى الشمال من ولاية كجرات هذه على رحلتها التي ستغادر (أحمد آباد) في الساعة السابعة والنصف مساءً.

ثم وصلت إلى الفندق قبل الثانية عشرة بنحو ربع ساعة فقلت للموظف: إنني سأغادر الآن، وهنا رأيت في الادارة رجلاً عليه بدلة أنيقة، حتى رباط العنق فتقدم إليّ وسلم عليَّ كمن يعرفني وقال: هل تتذكرني؟ أنا جارك في المقعد في الطائرة فجر أمس، فتذكرته وكان في لباس خفيف آنذاك. وقال: أنا الذي ذكرت لك هذا الفندق فندق (كاما) فهل أعجبك؟

فقلت : إنه جيد فهل أنت نازل فيه؟ فقال: لا أنا مدير الفندق كنت في شغل في بومبي.

وتذكرت عند ذلك المثل العامي الذي يقول: قال من مداحتها؟ قال: أمها ومشاطتها؟! فقد أثنى على هذا الفندق دون أن يذكر لي أنه هو مديره، والأهم من ذلك أنه ذكر لي أجرة الغرفة (٤٥٠) روبية فوجدته أرخص من ذلك إذْ كان الذي في الاستقبال فتى سمح الوجه أظنه مسلماً لأن لونه مشرق وكان رأى جوازي أمس – ربما من أجل

الأمن، وقال: عندنا لحامل الجواز السياسي تخفيض كما يكون في أكثر الفنادق في العالم؟

واليوم قال لي: إننا لانخفض الأجرة لحامل الجواز السياسي، ولكننا سوف نخفض الأجرة تخفيضاً جيداً إذا دفعت بعملة صعبة كالدولار.

ثم قال لي وشيء آخر وهو أن وقت مغادرة الفندق عندنا هو الساعة التاسعة وكنت ظننتها الثانية عشرة ولكن مادمت لاتعرف فلا مانع، ثم طلب مني أجرة الليلة الواحدة ٢٨ دولاراً أمريكياً وهذا قليل جداً بالنسبة لما ذكره لي مدير الفندق أمس عن أجرة الفندق فهو يقل قليلاً عن أربعمائة روبية.

ثم وضعت أمتعتي الثقيلة في مستودعهم على أن أعود في نحو السادسة مساءً لأخذها. وذهبت مع السائق الودود (محمد إمام علي رزاق) لمواصلة الإطلاع على معالم (أحمد آباد) وبخاصة جوامعها الفاخرة، وأسواقها المزدحمة.

ثم ذهبنا بالسيارة إلى مطعم آخر للمسلمين نظيف جداً، جيد الأثاث والرياش، ويقبل الناس على مطاعم المسلمين سواء منهم المسلمون وهم أقلية عددية والهنادك الذين لهم الأكثرية وقال لي العاملون في هذا المطعم: إن الهنادك يأكلون عندنا، لأن طعام المسلمين نظيف، وله نكهة خاصة وفيه لحم على حين أن المطاعم الهندوكية لاتقدم اللحم.

ثم إن المطعم رخيص إذ تغديت فيه ومعي السائق بـ ٤٧ روبية أي حوالي ١٢ ريالاً سعودياً للإثنين.

في معمعة الزحام

وقلت للأخ السائق (محمد إمام): إنني أريد أن أرى أخانا (ميرزا قرار بيك) لأخبره أنني سأغادر أحمد آباد الليلة وأودعه ليعرف بذلك حتى إذا سأله سائل عني من بومبي أخبره.

ولكنني أريد أن أرى في هذه الساعات الباقية لي في المدينة الأحياء الشعبية وغيرها فلا تبحث عن الطريق المختصر، ولكن أبحث عما فيه مايستحق المشاهدة.

فكان أول مارأيناه في حي متوسط المستوى (جرَّاخاً) وهو الذي يحمل المِسَنَّ أو (الجلخ) على ظهره ويسن الأسلحة الحادة كالسكاكين والمقصات والأمواس ويفعل ذلك والشرر يتطاير منها.

وقد استرعى انتباهي منظره، مع أنه ليس غريباً في أكثر البلدان ولكنه صار غريباً في بلادنا، لأن كثيراً منا يشترون سكاكين جديدة كلما اخلقَّت القديمة كما يستعملون الأمواس الصغيرة التي يحلق بها في الآلة ثم ترمي إضافة إلى الحلاقات الكهربائية ثم دخلنا في عذاب الزحام من عربات الركشا والدراجات والدواب وحتى الحمير رأيت عدداً منها تحمل على ظهورها بأوقارها - جمع وقر وهو مايوضع عليه التراب ونحوه مما يحمله الحمار - وهذه الحمير محملة بالطين ولا أدري لم يستعملونه إلا أن جميع ماتحمله وهي حوالي السبعة أو الثمانية لايساوي ماتحمله دراجة من الدراجات النارية فضلاً عن سيارة الشحن الصغيرة، وهي تعرقل المرور لأن الحمار لايشعر بما يشعر به سائر الدواب من مواطن الخطر في الزحام فتراه لايبتعد عن طريق السيارات أو المركبات حتى يبعده صاحبه أو غيره.

ورأيت رجلاً كالدرويش عليه ثياب زرية وعمامة وبنيته جيدة

صار يلح عليَّ بالسؤال ولم أرد اعطاءه شيئاً لأنني لا أدري أهو محتاج أم لا، كما أنه قوي البنية فقال السائق: إنه يعرفه وان امرأته تعمل خادمة في المملكة العربية السعودية، وله منها أولاد.

وعلى ذكر الأولاد أقول: إن الأطفال يرون في الشوارع بكثرة وبخاصة شوارع الحارات أي غير الشوارع السريعة، ممايدل على كثرة الانجاب من جهة، وعلى أن البيوت غير مريحة ولاواسعة إذْ لو كانت مريحة واسعة لبقي الأطفال فيها.

ولقد رأيت منظراً آلمني وهو امرأة حمَّالة، أي تحمل الأشياء بالأجرة كما يفعل الحمالون من الرجال ولكنها تضع الأشياء الثقيلة في عربة تجرها بمفردها دون أن يساعدها أحد، والغريب أنها وهي في هذه الحالة فإنها لم تتخل عن أشياء كثيرة تقليدية هي في غنى عنها فمثلاً هي ترتدي الملابس الهندية الفضفاضة التي تعيق سير المرأة التي تمشي فيها ولو لم تكن تجر عربة محملة بأشياء ثقيلة. وفي أنفها حلقة كبيرة للزينة. وعليها من مظاهر البؤس والحرمان مالاتستطيع جره أو التخلص منه إذا أرادت كما تفعل بالحمل الثقيل الذي في عربتها.

أما البقر الذي يتبختر في هذه الأسواق المزدحمة فما شبهته إلا بالصيد الذي لايذار أي لاينفر فهو لايبالي بشيء والناس يتركونه إحتراماً له وتديناً عند أكثرهم ولو كان ذلك على حساب أوقاتهم وتأخير مرورهم.

وصلنا إلى متجر أخينا (ميرزا قرار بيك) وهو من تجار الحديد بكافة أنواعه على ثقل الحديد واتساخ بعضه، يبيع فيه وفيما اشتق منه مثل القضبان والأنابيب ولديه مكتب في متجره وهو كبير وعمال رأيتهم يعملون في حمل الأشياء الثقيلة.

فأهديت إليه تمراً كنت أحضرته معي، وقلت له: هذا تمر من المدينة المنورة،

ثم طلب من عامل عنده قذر البدن والثياب بسبب الاهمال والحر واتساخ الحديد الذي ينقله ويحركه أن يحضر لي شاياً فقلت له: إنني لا أريد الشاي، لأنني تصورت هذا العامل القذر قد أحضر الشاي – وقد طلبه بالحليب دون موافقتي – من مقهاة غير نظيفة ثم جاء به في فنجان مكشوف يخترق شارعاً غير نظيف ولكنه ألح وأبى أن يسمح لي بالإنصراف قبل شرب الشاي رغم أنني ذكرت له أنني لا أرغب في شربه.

واعتذرت بضيق الوقت ولكنه لم يقدر ذلك فودعته وتركته غاضباً. كان الأخ ميرزا يمضغ التنبول عندما رأيته، ولكن كانت حاله أحسن أو لنقل أقل سوءاً من حالة صديق له غني لأنه كان يقود سيارته بنفسه ويظهر على ملابسه أنه من ذوي الثراء وكان التنبول القذر المنظر يظهر من فمه، ووجهه غير مشرق مثل كثير من أهل الهند الذين كانت الأوبئة والمياه الملوثة أو غير النظيفة سبباً من أسباب عدم الاشراق في الوجوه لتأثيرها على وفرة الدم في العروق. أما الآن فإنه لم تعد هناك أوبئة جارفة – وإنما البلاء من التنبول وتلوث الهواء في المدن من زحام المركبات والعربات التي تنفث الدخان ويستنشقه المارة.

إضافة إلى شيء آخر وهو عدم توازن الغذاء حتى لدى بعض القادرين على ذلك فتجد أكثرهم يكثر من الدسم والبهارات في طعامه ويأكل اللحم بانتظام ولكنه لايأكل الفاكهة ولايرى أكلها ضرورياً، بل هو إذا احتاج إلى الحلوى حصل عليها من الحلويات التي

أساسها هذا السكر الأبيض غير الطبيعي.

البوابات الثلاث

ذهبنا لرؤية مكان يسمى (تين دروازه) أي البوابات الثلاث وهو سوق ومحلة فيها بوابة مؤلفة من ثلاثة مداخل جيدة.

وقد اختلط عند هذه البوابات الحابل بالنابل من زحام الأناسي والدراجات إلى زحام السيارات وعربات الركشا التي تصم الآذان بأصوات محركاتها، وتؤذي الأنوف والصدور بما تنفثه من دخانها.

وكان السائق قد وجد مكاناً يوقف فيه سيارته بعد جهد جهيد ثم ذهبنا على اقدامنا فخرجنا من (تين دروازة) حيث كنا نقصد:



■ (تين دروازه) أو البوابات الثلاث في أحمد آباد ■

مسجد الجمعة

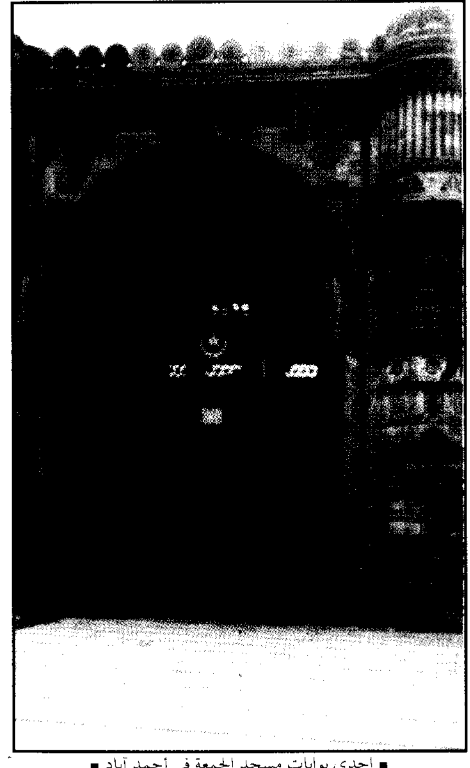
ويسمونه (جمعة مسجد) وربما كانت هذه التسمية قديمة بقيت على ماكانت عليه، لأن الجمعة الآن تقام في عدة مساجد في المدينة.

وهو قديم البناء بناه السلطان أحمد شاه الأول الذي نسبت إليه مدينة (أحمد آباد) هذه وقد امتد حكمه من عام ١٤١١م حتى عام ١٤٤٣م.

وهو مبني على طراز إسلامي جميل وإن كان مطعماً بطراز بناء هندي أصيل. ويلاحظ أن بناء المساجد على الطراز المغولي الظاهر في المساجد والأبنية المهمة الأخرى في الهند لم يكن قد تبلور بعد.

وقال الأخ السائق (محمد إمام): إن هذه المنطقة كانت في القديم للمسلمين، والآن غلب على سكانها الهنادكة، بل كادوا يكونون هم السكان فيها دون غيرهم، وبخاصة الحوانيت التجارية الممتدة في هذا السوق الذي عليه المسجد.

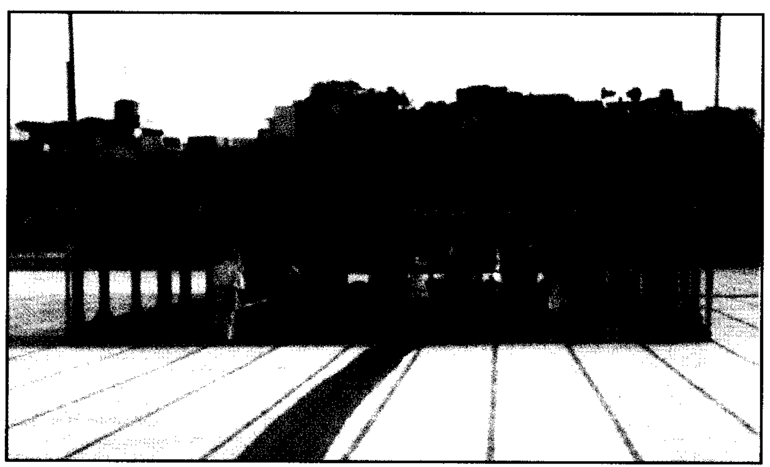
ومن طريف مافيه أنهم كتبوا عند بابه باللغة الأوردية: أيها المسلم صلِّ ولاتكتف بالتفرج... دخلنا المسجد مع بوابة له على طراز إسلامي جيد ذات أقواس حجرية كباقي المسجد وذات مظهر مهيب فصرنا في صحن مكشوف هائل الاتساع. وقد بلطوه



■ إحدى بوابات مسجد الجمعة في أحمد آباد ■

ببلاط حديث معتاد، فأفسدوا مظهره الإسلامي العريق.

وفي وسط هذا الصحن الواسع بركة ضخمة للوضوء، وقبة ربما كانت لمحل الوضوء في القديم وعمود حجري للنور قديم جميل. وصرنا نسير في الصحن بعد أن خلعنا أحذيتنا مع أن الصحن واسع والأغلب أنه لايصلي فيه الآن، والمهم أن بلاطه غير نظيف فهو بعيد العهد بالغسل أو التنظيف.



■ بركة الوضوء في صحن مسجد الجمعة في أحمد آباد ■

وقد كتبوا على حائطه الشمالي من الداخل بخط ضخم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك وسلم، الله، محمد، أبوبكر، عمر، عثمان، علي.

ثم واصلنا تجوالنا في المسجد وهو متسع، إلى درجة أن تكون عبارة: واصلنا التجول فيه، حقيقة لامبالغة فيها. فدخلنا في أروقته ثم في المسجد نفسه أي المصلى الداخلي المسقوف بأعمدته الحجرية الرشيقة، ولكنها متقاربة مثلما عليه الحال في جامع السلطان محمود بيقرا، وتعلو الأعمدة قباب من الحجارة الملونة في الداخل من حلقات

تكون واسعة في الأسفل منها الذي يلي أعلى العمود ثم تضيق كلما ارتفعت القبة.



■ جانب من صحن مسجد الجمعة في أحمد آباد ■

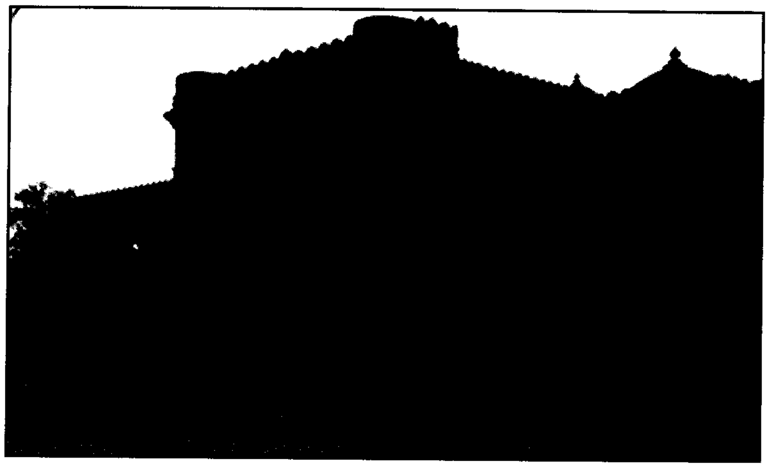
ومن أعجب الأشياء فيه أنهم فصلوا المكان الذي تصلي فيه النساء بشباك من الحجارة التي نقشوها كما ينقش الجبس مثلاً مع أنها حجارة حقيقية، والشباك الذي صنع منها كأنه الشباك المصنوع من الحديد، وذلك لمهارة النقاشين، والصبر على النفقة اللازمة له.

إضافة إلى النقوش الحجرية الموجودة في أماكن عديدة من هذا الجامع الكبير.

وفي الشرق من المسجد أي في الجهة المعاكسة لجهة القبلة وهي التي تكون خلف المسجد دفن السلطان أحمد شاه الأول الذي بنى هذا المسجد وهو الذي نسبت إليه مدينة (أحمد آباد) هذه ولاتزال تسمى على اسمه كما سبق.

وبينما كنا في المسجد أذن المؤذن لصلاة العصر فصار الناس يتقاطرون على المسجد بمقدار لا بأس به من حيث العدد. والملفت

للنظر هو وجود أعداد من المسلمات اللائي كن يدخلن المسجد يصلين فيه صلاة العصر. ومصلاهن منعزل عن مصلى الرجال.



■ بوابات مسجد الجمعة في أحمد آباد (من الداخل) ■

ثم خرجنا إلى السوق الذي يقع عليه المسجد ويسمى (بانكوزر ناكا) وفيه صف من الحوانيت مبنية من جهة المسجد الشمالية ومفتوحة على السوق ويصرف ريعها في مصالح المسجد من ترميم وإنارة ونحو ذلك.

وفي هذا السوق مسلمون ولكنهم أقل من عدد الهنادك، وقد رأيت حوانيت بعضهم، حيث صرنا نمشي على أقدامنا في رصيف الشارع الذي كان زحام المشاة فيه بالغاً حتى لايكاد المرء يسير سيراً طبيعياً، وإنما يلزم له أن يقف أو يدور لكي يجد له منفذاً من هذا الزحام الذي قد يحلو لأحد أفراده أن يسعل أو يعطس أو حتى أن ينفث دخان لفافته في الهواء الذي ليس فيه فراغ. لايبالون بذلك، ولا أرى له منهم مستنكراً. والأمر في وسط الشارع حيث المركبات وعربات الركشا والسيارات أشد تلويثاً للهواء بالدخان.

ثم واصلنا السير على أقدامنا في السوق حتى وصلنا إلى ميدان صغير فرأيناهم يحرقون القمامة فيه مرتفعاً دخانها لينضم إلى دخان السيارات وعربات الركشا في تلويث الجو.

وزرنا مسجداً آخر في السوق قديماً مبنياً بالحجارة وليس هو بالكبير.

جامع راني روبا فاتي

وهو مسجد واقع بجانب السوق ذو بناء فاخر بالحجارة له ثلاث قباب ومنارتان، كبير المساحة لوجود مرافق وأفنية تابعة له وإلا فإن المصلى الرئيسي فيه ليس واسعاً ولكنه معتنى به من حيث البناء وبخاصة من الحجارة المنقوشة.

وسمي (جامع راني روبا فاتي) على اسم (راني) التي هي زوجة السلطان (محمود بيقرا) فقد بنى السلطان جامعه الذي تقدم ذكره في (سركيز) وأعد قبره في جهته الجنوبية، وهذه دفنت في جهة الشمال من هذا المسجد - ولكنه ليس متصلاً به، بل تفصل بينهما محلات للوضوء. وبجانبها قبر ابنة لها.

ويرتفع قبرها ازاء صدر الرجل وعليه بناء تعلوه قبة من الحجارة المنقوشة المتقنة كالقباب التي ذكرتها في قبر زوجها.

ويصعد إلى المسجد بدرج عالٍ مع أنه في وسط المدينة ولكن هكذا الأبنية المحترمة ذات الأهمية يصعد إليها بدرج.

ويقع الجامع في حي اسمه (ميرزا بور).

ثم زرنا مسجداً آخر قديماً مبنياً أيضاً بالحجر المنقوش اسمه (مسجد دللي تقلا) وذلك لكونه واقعاً بالقرب من (دللي دروازه)

التي تعني بوابة دلهي، لأن اسم دلهي كان ينطق به قديماً (دللي) ومن المعلوم أنه مذكور في كتبنا العربية القديمة باسم دهلي وهو أقرب إلى النطق القديم في هذه البلاد (دللي) من (دلهي) .



■ أبنية على الطراز الإسلامي في أحمد آباد ■

مغادرة كجرات

هذا وقد سافرت من أحمد آباد إلى مدينة (جيفور) عاصمة ولاية راجستان في الثامنة إلاّ ثلثاً من هذا المساء ولها حديث في كتاب آخر عنوانه : « راجستان : بلاد الملوك » .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

صدر من هذه السلسلة

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابللي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي للمسلمين	د. محمد رفعت العوضي
٤١-	المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبد الله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة حق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. محمد ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابللي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣]	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في مواجهة التحديات	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	أ. عبد الغفور عطار

٦٧- العدل والتسامح الإسلامي — أ. أحمد المخزنجي
٦٨- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٤] — أ. أحمد محمد جمال
٦٩- الحريات والحقوق الإسلامية — أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠- الإنسان الروح والعقل والنفس — د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١- موقف الجمهوريين من السنة النبوية — د. شوقي بشير
٧٢- الإسلام وغزو الفضاء — الشيخ محمد سويد
٧٣- تأملات قرآنية — د. عصمة الدين كركر
٧٤- الماسونية سرطان الأمم — أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥- المرأة بين الجاهلية والإسلام — أ. سعد صادق محمد
٧٦- استخلاف آدم عليه السلام — د. علي محمد نصر
٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢] — أ. محمد قطب عبد العال
٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢] — الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩- كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا — د. سراج محمد وزان
٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ — الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١- كيف بدأ الخلق — أ. عيسى العرباوي
٨٢- خطوات على طريق الدعوة — أ. أحمد محمد جمال
٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين — أ. صالح محمد جمال
٨٤- المبادىء الاجتماعية في الإسلام — أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام — د. ابراهيم حمدان علي
٨٦- الحقوق المتقابلة — د. عبد الله محمد سعيد
٨٧- من حديث القرآن عن الإنسان — د. علي محمد حسن العماري
٨٨- نو رمن القرآن في طريق الدعوة والدعاة — أ. محمد الحسين أبو سم
٨٩- أسلوب جديد في حرب الإسلام — أ. جمعان عايض الزهراني
٩٠- القضاء في الإسلام — أ. سليمان محمد العيضي
٩١- دولة الباطل في فلسطين — الشيخ القاضي محمد سويد
٩٢- المنظو رالإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل — د. حلمي عبد المنعم جابر
٩٣- التهجير الصيني في تركستان الشرقية — أ. رحمة الله رحمتي
٩٤- الفطرة وقيمة العمل في الإسلام — أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥- أُوصيكم بالشباب خيراً — أ. أحمد محمد جمال
٩٦- المسلمون في دوائر النسيان — أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧- من خصائص الإعلام الإسلامي — أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨- الحرية الاقتصادية في الإسلام — د. محمود محمد بابللي
٩٩- من جماليات التصوير في القرآن الكريم — أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠- مواقف من سيرة الرسول ﷺ — أ. محمد الأمين
١٠١- اللسان العربي بين الانحسار والانتشار — الشيخ محمد حسنين خلاف

١٠٢- أخطا رحول الإسلام — السيد هاشم عقيل عزوز

١٠٣- صلاة الجماعة — د. عبد الله محمد سعيد

١٠٤- المستشرقون والقرآن — د. اسماعيل سالم عبد العال

١٠٥- مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية — أ. أنور الجندي

١٠٦- الاقتصاد الإسلامي هو البديل — د. شوقي أحمد دنيا

١٠٧- توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ — أ. عبد المجيد أحمد منصور

١٠٨- المخدرات مضارها على الدين والدنيا — د. ياسين الخطيب

١٠٩- في ظلال سيرة الرسول ﷺ — أ. أحمد المخزنجي

١١٠- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — أ. محمود محمد كمال عبد المطلب

١١١- زينة المرأة بين الإباحة والتحريم — د. حياة محمد علي خفاجي

١١٢- التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا — د. سراج محمد عبد العزيز وزان

١١٣- النموذج العصري للجهاد الأفغاني — أ. عبد رب الرسول سياف

١١٤- المسلمون حديث ذو شجون — أ. أحمد محمد جمال

١١٥- الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم — أ. ناصر عبد الله العمار

١١٦- المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات — أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز

١١٧- آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم — د. جابر المتولي تميمة

١١٨- اللباس في الإسلام — أ. أحمد بن محمد المهدي

١١٩- أسس النظام المالي في الإسلام — أ. محمد أبو الليث

١٢٠- المستشرقون والقرآن [٢] — د. اسماعيل سالم عبد العال

١٢١- الإسلام هو الحل — أ. محمد سويد

١٢٢- نظرات في قصص القرآن — أ. محمد قطب عبد العال

١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي — د. محمد محي الدين سالم

١٢٤- خواطر اسلامية — أ. ساري محمد الزهراني

١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات — أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

١٢٦- دروس تربوية نبوية — أ. صالح أبو عراد الشهري

١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل — د. عبد الحليم عويس

١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي — د. مصطفى عبد الواحد

١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول] — أ. أحمد محمد جمال

١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني] — أ. أحمد محمد جمال

١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى — أ. عبد الباسط عز الدين

١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة — د. سراج عبد العزيز الوزان

١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديث — أ. ابراهيم اسماعيل

١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام — د. حسن محمد باجودة

١٣٥- منهاج الداعية — أ. أحمد أبو زيد

١٣٦- في جنوب الصين — الشيخ محمد بن ناصر العبودي

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة